

الدكتور أحمد قدور

اصالة
علم الاصوات
عند الخليل من خال مقدمة
كتاب الحسين



أفاق معرفة متنبقة

منشورات الدار تخضع للتحكيم والتدقيق اللغوي

أصلية علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة
كتاب العين / أحمد محمد قدور. - دمشق: دار
ال الفكر؛ ١٩٩٨ - ١٢٥ ص؛ ٢٤ سـ.

٤١٢ - ١ ق دو ١ - العنوان ٣ - قدور

مكتبة الأسد

١٩٩٨/٨/١٢١٣ - ع

الدكتور أحمد محمد قدر

أصالة
علم الأصوات

عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين

طبعة مزيدة ومتقدمة



آفاق معرفة متعددة

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
١١	القسم الأول: الدراسة
١٣	تمهيد : نشأة علم الأصوات عند العرب
١٥	١ - مسألة تأثر الخليل بالحضارات السابقة
٢٠	٢ - مسائل صوتية نطقية
٥٣	٣ - مسائل صوتية تشيكيلية
٦٧	ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها
٨٣	القسم الثاني: النصوص
٨٥	١ - مقدمة كتاب العين بتحقيق آل ياسين
٩٧	٢ - نصوص من المقدمة أوردها الأزهرى
١٠٩	٣ - نصوص من المقدمة أثبتها أبو حيان
١١٥	٤ - بعض ما اقتبس من المقدمة (لدى ابن دريد ومكي والأستراباذى وابن منظور)
١٢١	فهرس المصادر والمراجع

وقد ضمَّ هذا النحو نصوصاً من "كتاب جمهرة اللغة" لابن دريد، وكتاب "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" لمكي بن أبي طالب القيسي، وكتاب "شرح شافية ابن الحاجب" للأستراباذي، ومعجم "لسان العرب" لابن منظور.

ولم يكن في الحسبان أيَّ قصد لجمع ماقررَ من آراء الخليل الصوتية في تضاعيف الكتب فدون ذلك خرط القناد. إنما قصدنا إثبات بعض ما وقفتنا عليه ليكون لنا حجة، مع إغفالنا بعض ما هو في حكم النقل من مقدمة كتاب العين على نحو ماورد لدى ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب"، إذ أغارت فيه على آراء الخليل الواردة في مقدمة كتاب العين دون أن يشير إلى ذلك أيَّ إشارة، وعلى نحو ما ظهر لنا في مقدمة "كتاب جمهرة اللغة" لابن دريد التي تكاد تكون صياغة جديدة لأفكار الخليل.

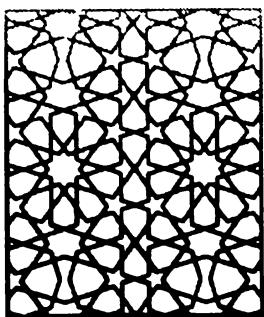
ولا بدَّ من الإشادة بالتشجيع والمساعدة العلمية التي تلقيتها من الأخ الدكتور صلاح كزارة الذي دأب على متابعة أعمالِي قارئاً ومناقشَاً وناصحاً، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء.

وأودَ أن أرجُي كلمة وفاء خالص وعرفان كبير ومودة فيه رحمة سابقة إلى زوجتي السيدة دلال التي احتملت من أعباء مهنتي في التعليم والبحث مالا يحتمل. وهيئات أن تقدر هذه الكلمة على ردِّ شيء من جميلها ورعايتها...

أَيْهُدِي لَهَا دُرُّ التَّقَارِبِ وَالنَّا
وَمِنْ بَحْرِهَا الْفَيَاضُ يُسْتَخْرِجُ الدُّرُّ
وَاللَّهُ الْمُوْفَقُ

حلب في ١٨ من أيلول عام ١٩٩٧

أحمد محمد قدور



القسم الأول

الدراسة

نوهيد

علم الأصوات عند العرب واحد من العلوم التي نشأت في القرن الثاني للهجرة. ومعروف أن هذا القرن كان قرناً نشأة الكثير من العلوم العربية وازدهارها. لكن علم الأصوات مختلف عن بعض هذه العلوم ولا سيما العلوم اللغوية من جهة الوضوح المصطلحي والضبط المعرفي "الإبستمولوجي". آية ذلك أنه ظل محتاجاً إلى مصطلح جامع ينبيء بما يضمّه من مسائل ذات حدود واضحة، وأن معطياته صارت دولة تتجاذبها علوم اللغة والبلاغة والتجويد والطب حتى هذا العصر. ولذلك افتقر إلى (إطار) معرفي مضبوط على النحو الذي حظيت به علوم عربية أخرى كالنحو والصرف والبلاغة والعروض.

ولا يعني هذا أبداً التقليل من إنجازات العلماء القدامى في هذا المجال، إذ حفلت كتب النحاة واللغويين وعلماء البلاغة والتجويد والحكماء بالجمل الغفير من الموضوعات الصوتية النظرية والتطبيقية. وتذكر في هذا الصدد كتب كثيرة حوت جوانب من الدرس الصوتي أو عنيت بمسائل تطبيقية متعددة. نحو "كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ)"، وكتاب "سر صناعة الإعراب" لابن حني (ت ٥٣٩٢ هـ)، وكتاب "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، وكتاب "رسالة أسباب حدوث الحروف" لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)، ونحو ذلك من كتب بلاغية للمرمني (ت ٣٨٦ هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ).

وضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) وبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ). أما مخالفه علماء التجويد وحدهم فهو من الكثرة والتنوع يمكن. وتكتفي المطالع نظرة عجلة يلقيها على فهارس المخطوطات العربية ليكتشف مبلغ العناية التي حظي بها درس الأصوات عند هؤلاء العلماء الذين قرروا معطيات الدرس الصوتي "المقول" إلى معطيات الأداء القرآني "السموع"، فكان لهم هذا التراث العظيم حقاً.

ويأتي "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في مقدمة الآثار المدونة التي شرعت لطوابيف شتى من العلماء طرائق الدرس الصوتي الذي كان "المجم" أول مجال يظهر فيه نظراً وتطبيقاً. وتشير حول كتاب العين للخليل قضائياً متعددة بعضها مايزال موضع اختلاف الدارسين في هذا العصر. وأهم ما يعرض له الدارسون في هذا الصدد البحث في تحقيق نسبة كتاب العين للخليل، ونشأة المعجمية العربية، وأثر العين في المعاجم التي حذرت حذوه خاصة وفي غيرها من معاجم العربية عامة. وليس من مقاصد هذا البحث الوقوف عند هذه القضائيا أو بعضها، إذ تطلب في مطانتها وقد بذل فيها جهد كبير أسهمت فيه طائفة من الدارسين المحدثين. أما بحثنا هذا فمعني بالكشف عن أصول الدرس الصوتي وصولاً إلى "أصالته" من خلال مقدمة كتاب العين. وسيعرض البحث لما أشاره بعض المحدثين من عرب ومستشرقين من شكوك في مدى أصالة الدرس الصوتي عند الخليل، وما افترضه هؤلاء من اقتباس واسع من مصادر أجنبية. كما سيعرض تفصيلاً لإنجازات الخليل الصوتية من خلال مقدمة العين أصلاً، لأن في بيان هذه الإنجازات وعرضها على الدرس الحديث الردّ العلمي على تلك الشكوك التي لا تستند إلى أي دليل صحيح.

مسألة تأثر الخليل بالمعماريات السابقة

لقد ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أنَّ الخليل متأثِّر بنظام ترتيب الأصوات عند الهند من نحاة السنسكريتية. وقد احتاجَ هؤلاء بمحاجَع مختلفة منها استغراب النسج المبكر لعلوم العربية، مما يؤكد افتراض اقتباس واسع من حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطرفة تطوراً بعيداً. ويدرك مونان (G. Monin) أن فولرز (K. Vollers) أشار إلى بعض نقاط التماส بين بانيي (Panini) وبين العلوم الصوتية اللغوية التي أنشأها الخليل الأول من التحوين العرب كخليل مثلاً^(١). ويبدو أن دائرة المعارف الإسلامية أخذت بهذا الزعم، إذ رأى كاتب مادة "الخليل" فيها أنَّ "الظاهر أنه ربَّه على حروف الهجاء عند نحاة السنسكريتية وهي التي تبدأ بحروف الحلق..."^(٢). وذكر فؤاد سزكين أنَّ "مسألة تأثر الخليل بترتيب الهند لحروف الأبجدية تبعاً لخارجهما يمكن عتلها أمراً مفروغاً منه"^(٣). وأحال سزكين إلى مرجع للمستشرق المعاصر فيلد (S. Wild). وأكَّد مانفريدي أولمان هذا التأثير بقوله: "... صنف الخليل بن أحمد الفراهيدي معجم الشامل "العين" الذي نظم فيه أصول الكلمات ومصادرها طبقاً للقواعد الهندية وفق نظام صوتي منطلق حرف العين..."^(٤). وقد تبني

(١) مونان، حورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص ١٠٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ٨ / ٤٣٦.

(٣) سزكين، تاريخ التراث العربي، مجل ٨، ١٨/١، ٢٢.

(٤) أولمان، مانفريدي "معجم اللغة العربية الفصحى"، ضمن كتاب ألمانيا والعالم العربي، ص ٣٢٧.

شوقى ضيف هذا الرأى من غير أن يشير إلى مصدر معين. لكنه أضاف إلى هذا الرأى الشائع أن الخليل "رما عرف ذلك من بعض نازلتهم - المندو - في موطنه" ^(٥).

وذهب دارسون آخرون في سياق درس تأثير الدرس اللغوى العربى عامه بالتراث اليونانى إلى أن الخليل أخذ ترتيبه من المعاجم اليونانية، وأنه لأفضل له في ذلك إلا أسبقيته في النقل. واحتاج هؤلاء بمحاجع منها أن الخليل عرف اليونانية بحسب رواية للزبيدي (ت ٣٧٩هـ) في كتابه الطبقات ^(٦)، وأن الخليل تلقى من حنين بن إسحاق (ت ٢٦٤هـ) ماترجمة من تراث اليونان ^(٧).

لكن دارسين آخرين لم يرتكوا إلى الأخذ ببدأ التأثر أياً كان مصدره، وذهبوا إلى أن ترتيب الحروف على الخارج خاصة لا يمكن أن يكون مستمدًا من الهندية ولا اليونانية ولا السريانية ولا اللغات الأخرى التي عرفها الشرق الأدنى القديم. وقد أنكر هؤلاء معرفة الخليل باللغات الأجنبية أساساً لانعدام الدليل على ذلك. وأبرز من ذهب هذا المذهب يوسف العش (١٩٤١م)، وحسين نصار (١٩٥٦م) ومهدى المخزومى (١٩٦٠م) ^(٨).

والحق أن نشأة الدرس الصوتي على يد الخليل جاءت ضمن الجوّ الحضاري الناهض

(٥) ضيف، شوقى، المدارس النحوية، ص ٣٢.

(٦) انظر: الزبيدي، طبقات التحريين واللغويين، ص ٥١.

(٧) انظر هذه المحاج مع مناقشة مستفيضة في:

- يوسف العش، "أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد" مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١٦ لعام ١٩٤١، ص ٥١٣ - ٥٢٠.

- مهدى المخزومى، الخليل بن أحمد الفراهيدى، أعماله ومتوجهه، ص ٦٢ - ٧٤.

- حسين نصار، المعجم العربى، ١ - ٢٢٢/١ - ٢٢٧.

- هادى حسن حمودى، الخليل وكتاب العين، ص ٧١ - ٨٠.

(٨) انظر: المراجع السابقة.

القسم الأول

عصرئذ، ولم تكن طفرة في عصر راكم أو متخلّف. وإذا سلمنا باقتباس هذا العلم لأنّه على قدر من التفوق فكيف نفعل بعشرات العلوم التي نشأت مع علم الأصوات كالمعجم والنحو والصرف والدلالة والبلاغة والنقد والتفسير والفقه؟ هل نزعم أنها منقوله عن الأجانب لأنّها علوم مبتكرة؟ لقد "كان العصر الذي عاش فيه الخليل حافلاً بتاليـف الكتب الجامـعة للعلوم من الحديث يـجمعـه ابن جـريـجـ، إـلى القراءـات يـدونـها أبو عمـرو بن العـلاءـ، إـلى الفـقه يـقـيـدـ مـادـتـهـ وأـحـكـامـهـ مـالـكـ والـشـافـعيـ، إـلى التـارـيخ يـبـسـطـهـ الـواقـديـ وـتـلـامـيـذهـ، إـلى الشـعـر يـجـمعـهـ السـكـريـ وـغـيرـهـ" (٩).

وفضلاً عن أن لقاء الخليل بحنين بن إسحاق هو محض خطاً لأن الخليل توفي قبل أن يولد حنين (١٠)، فإن الخليل لم يدرك عصر الترجمة الحقيقي. فالخليل توفي نحو عام ١٧٥ للهجرة على حين أن عصر ترجمة بغداد الذهبي كان بين عامي ٢٥٦ - ٢٠٥ تقريباً، أي في القرن الثالث. كذلك لم يذكر أحد من القدماء بعد اتساع عملية الترجمة وانتشار الكتب انتشاراً كبيراً أي مصدر أجنبي كان منه اقتباس الخليل أو من أخذ عنه الخليل. فلو أن شيئاً من ذلك الاقتباس حدث فعلاً لبقي منه أثر يظهر أو إشارة ترد قصداً أو عفواً.

أما ماذهب إليه شوقي ضيف مما أضافه إلى مزاعم الأخذ عن الهند من أن الخليل ربما عرف هذا الدرس الصوتي من نازلة الهند في البصرة في عصره، فأمر بين الخطأ، لأن فيه افتراضاً يجعل الهند عالمين بإنجازات علمائهم الدقيقة وإن كانوا تجارة أو بحارة علماً يسمح لهم بنقلها إلى الأجانب وإيصالها سليمة من التحريف. وإذا استذكر المرء وضع العلم في تلك العصور ولدى الشعوب غير الإسلامية شقّ عليه قبول انتشار العلم

(٩) العـشـ، "أـولـيةـ تـدوـينـ المـعـاجـمـ...ـ" صـ ٤٦٠ـ .

(١٠) انظر: العـشـ، صـ ٥١٥ـ ، والمـخـزوـميـ، الخلـيلـ بنـ أـحـمـدـ...ـ، صـ ٦٥ـ - ٦٦ـ .

انتشاراً واسعاً في فئات الناس جميعاً. فالعلم الذي هو حق وفرض أوجبه الإسلام على كل إنسان عاقل لم يكن متاحاً في أي صورة من صوره للناس، بل كان مما ينبغي إخفاؤه والتستر عليه والضن به إلا على علية القوم من الخاصة.

ويسمى في نقى التأثر المزعوم بالترجمات خلوًّا عمل الخليل الصوتي من أي مصطلح دخيل أو معرَّب - كما سيتبين لاحقاً - فالعلوم التي تتلقى عن طريق الترجمة تكون عادة حافلة بالمصطلحات الدخيلة، لأن تلقي العلوم واقترانها لابد من أن يكون مصحوباً بجهازها المصطلحي. والأدلة على ذلك كثيرة منها القديم والحديث. ففي القديم سادت المصطلحات اليونانية في العلوم الجديدة المقترضة أو المعرف التي رفدت بالترجمة كالمنطق والفلسفة والهندسة والكيمياء ونحوها من علوم العجم كما يقول الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) في مفاتيح العلوم. وإن الباحث ليعجب من كثرة الكلمات الدخيلة في "المقالة" أو القسم الذي عقده الخوارزمي للعلوم الجديدة (علوم العجم)، على حين أن "المقالة" أو القسم الذي عقده للعلوم العربية والشرعية يكاد يخلو خلوًّا تاماً من أي مصطلح دخيل إلا فيما استحدث من الدواوين التي ينطبق عليها ما ينطبق على القسم الأول تقريباً. وفي الحديث أيضاً نجد أنَّ العلوم التي بقيت بمنأى من التأثر أو الاقتراض الراسع تخلو من المصطلحات الدخيلة، على حين أن غيرها مما مسته الترجمة أو النقل مسَا عنيفاً بمحفظ الكثير من المصطلحات الدخيلة والمعرَّبة. ويكتفي هنا أن نذكر علم اللغة أو اللسانيات وما أثاره من ببلة اصطلاحية ببعضها المصطلحات الأجنبية التي عبرت عن مفاهيم غربية على الدرس العربي^(١١).

ويبدو أنَّ الذين جنحوا إلى القول بالتأثر بدليل وغير دليل فاتهم أنَّ عمل الخليل بين على أساس لغة العرب بدءاً، ولو كان الأمر غير ذلك لظهر اختلاف بين العلم

(١١) انظر: الخوارزمي مفاتيح العلوم، ص؛ وانظر مقالتنا، "مشكلات المصطلح اللساني، وصف ونقد واقتراح"، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد ٢٦/٢، ص ١١٦ - ٨٧.

القسم الأول

المستحلب والمادة المدروسة وهو ما لم يلاحظ أبداً. وسيتبين المزيد من هذه القضية لاحقاً. كذلك لم يلتفت هؤلاء إلى معطيات التكوين الثقافي للخليل، كما لم يدخلوا ابتكارات الخليل الأخرى في حسبانهم، وكان الرجل سطحي الثقافة حامل الفكر. فالخليل الذي تلقى لغة العرب سمعاً، وتلقى القراءات القرآنية كذلك حصر بمحور الشعر بضروب من المفاعيل الإيقاعية العجيبة التي اتفق الجميع على أنه هو الذي ابتدعها من غير سابق مثال^(١٢). فلم يكن الخليل بعيداً عن جو الأصوات والأنغام وهو الذي ألف في الموسيقى، وكان له فضل التقدّم فيها أيضاً^(١٣).

ولم يستطع أحد من الدارسين عرباً ومستشرقين أن يثبت أي شيء من التأثير المزعوم، فبقي الأمر ضمن الشكوك والظنون التي لا يؤخذ بها في البحث العلمي الذي يستند إلى أدلة صالحة للاستدلال لا إلى أقوال أساسها الاحتمال.

(١٢) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤٥٣ / ١، وعبد الله درويش، المعاجم العربية مع اهتمام خاص بمعجم العين، ص ١٤.

(١٣) انظر: الزبيدي، الطبقات، ص ٤٩ - ٥٠.

مسائل صوتية نطقية

أراد الخليل أن يدرس اللغة على أساس علمي استقى طرفيه من الثقافة العقلية واللغوية. فقد فكر الخليل بطريقة تمكنه من جمع اللغة على سبيل الحصر والاستيعاب وليس على أساس الجمع وتصنيف المسائل بحسب الموضوعات وغيرها. ولم يستطع ترتيب آخر أن ينهض بالهمة التي أرادها الخليل لمعجمه كتاب العين كالترتيب الأبجدي والترتيب الألفبائي لأنهما يهدران القيمة الصوتية التي جعلها الخليل مبدأً من مبادئ عمله. فقد وعى أسس التصريف –إن لم يكن ابتكر معظمها– والأبنية، وعرف خصائص اتلاف الأصوات ونسجها، ووقف من خلال روايته الواسعة^(١٤) على المهمل المستعمل مما يترتب من الكلام العربي، وحدّد عن طريق العلوم الرياضية ماتقدمه التقاليب من صور محتملة أحصاها إحصاء دقيقاً^(١٥). وإذا عرف المرء أنَّ معظم هذه الأسس ضممتها مقدمة كتاب العين التي تقع في ثلاث عشرة صفحة هاله مانطوى عليه عمل الخليل من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط وعمق في فهم

(١٤) انظر: ضيف، المدارس النحوية، ص ٤٦ - ٤٨.

(١٥) انظر: كتاب العين، ١/٤٧ - ٥٩، وانظر: المزهر، ١/٧٤ حيث نقل عن حمزة الأصبهاني أن الخليل ذكر عدد أبنية كلام العرب من المستعمل والمهمل من غير تكرار، وهي إثنا عشر (مليون) بناء، وتلاته ألف وخمسة أربعمائة وأثنا عشر.

خصائص العربية. وهذا دأب الخليل دائمًا “ فهو لا يلمّ بعلم حتى يلتهمه التهاماً، بل حتى يستوعبه ويتمثله وينفذ منه إلى ما يفتح به أبوابه الموصدة، وحقاً مقالة ابن المفع فيه من أن عقله كان أكثر من علمه”^(١٦).

ولا يتسع مجال هذا البحث للوقوف على هذه الأسس التي ثبتت رياضة الخليل للمعجمية العربية رياضة مطلقة، إنما نقف - كما أسلفنا - عند الدرس الصوتي وحده من خلال مقدمة كتاب العين. فالباحث مقتصر على الأصوات ومحمد في “المقدمة” بحسب رواية الليث عن الخليل. ومع أن هناك الكثير من الاستثناءات بأراء موثوقة للخليل في مصادر أخرى، فإن بحثنا ليس تقصياً لآراء الخليل الصوتية التي تحفل بها مصادر اللغة وكتب التراث الأخرى.

أما موقع المقدمة ضمن الاختلاف المستمر حول نسبة كتاب العين للخليل فقد عبر عنه أكثر القدامى والمحديثين مؤيدین كون التأسيس في أول الكتاب أو مخططه أو جزء متقدم منه للخليل نفسه. وقد عبر الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) عن هذا الموقف بقوله : ”ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المحمل في أول كتاب ”العين“ لأبي عبد الرحمن الخليل ابن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه“^(١٧) وقرب من هذا الموقف مارواه ثعلب (ت ٢٩١هـ) وذكره ابن حني (ت ٣٩٢هـ) من أن الخليل أومأ إلى الكتاب أو رسمه، لكنه لم يله بنفسه ولا قرره ولا حرر“^(١٨). وقد اعتمد بروكلمان على الرغم من كل الشكوك التي ثارت حول هذا الكتاب الرأي السابق الذي يذهب إلى أن الخليل وضع خطة الكتاب وترتيبه وأن الليث بن المظفر أتمه“^(١٩). ومع أننا ذكرنا إعراضنا عن الدخول في مشكلة نسبة كتاب العين للخليل جملة، فإن دراسة ماضيته

(١٦) انظر: ضيف، المدارس النحوية، ص ٣٠.

(١٧) الأزهرى، تهذيب اللغة، ٤١/١.

(١٨) انظر: ابن حني، الخصائص ٣/٢٨٨، وانظر رأي ثعلب في المزهر، ٨٢/١.

(١٩) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/٤٥٤ - ٤٥٥.

مقدمة الكتاب تظهر أنَّ الخليل هو صاحب الفكرة من دون شكٍّ وأنَّه عرضها على تلميذه معلمًا ومناقشًا، وأنَّه أملَى من حفظه في هذا الصدد ما جعل الليث ينحو نحوه في أجزاء الكتاب كلَّها حتى استوفى جوانب الحطة. وربما عرض في أثناء ذلك شيءٌ من الزيادة بسبب الإكمال أو ضمَّ الفوائد من ناس عاشوا بعد الخليل وتلميذه الليث

(ت نحو ١٩٠ هـ)^(٢٠)

ويؤيد طبيعة الإملاء والسماع لتأليف النظم مارواه لغويون آخرون من معلومات مماثلة لما يرد في مقدمة العين برواية الليث. فقد نقل الأزهري نصوصاً من المقدمة برواية الليث، كما روى معلومات مماثلة لما ورد برواية الليث عن غيره عن الخليل^(٢١). ونقل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) من كتاب جنادة الهرمي (ت ٣٩٩ هـ) أبعاضاً مما رواه الليث، وأخرى مما رواه النضر بن شمبل (ت ٢٠٣ هـ) تلميذ الخليل، وأشياء من رواية الأخفش الأوسط (٢١٥ هـ) عن الخليل^(٢٢) وتشير الأمثلة المتقدمة إلى تحقيق نسبة "المعلومات" الصوتية الواردة في المقدمة للخليل وتنفي أن يكون للبيث دور في إبداعها، لكنَّها لا تؤيد أبداً فكرة "كتابة" المقدمة من قبل الخليل نفسه^(٢٣).

(٢٠) فلا غيرة بما استدلَّ به عبد الله درويش في كتابه: المعاجم العربية من أنَّ الليث روى جميع الكتاب عن الخليل. فعبارة "حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب" لاتقطع الطريق على القائلين بأنَّ الخليل عمل أول كتاب العين فقط، ثمَّ أنه الليث حرِّياً على مخطوته مالقاً تضاعيفه بالسماع عن الخليل. فالليث روى فعلًا معظم المادة من سماع الخليل في حياته أو بعد موته من كراريسه، ونسبها إلى مصدرها دون أن يدلَّ هذا بالضرورة على أنه يروي "تأليف" كتاب العين من قبل الخليل نفسه.

(٢١) انظر: الأزهري، التهذيب، ٤١/١، ٤١/١، ٥٠/١. كذلك نقل ابن منظور في مقدمة لسان العرب نصَّاً كاملاً من مقدمة العين برواية الليث. انظر اللسان ١٣/١ - ١٤.

(٢٢) انظر: أبو حيان، تذكرة النحاة، ص ٢٥ - ٣١.

(٢٣) سبق أنْ قررنا أنَّ الخليل (عمل) أول كتاب العين، ثمَّ أنه الليث... لكنَّ هذا لا يعني أنَّ الخليل (كتب) المقدمة كما يفعل المؤلفون. وقد ذكر رمضان عبد التواب: "وهناك خلاف كبير في نسبة كتاب العين إليه. ويبدو أنَّ الخليل بن أحمد كتب مقدمتها، ووضع الميكيل العام لكتاب، ثمَّ حشأه من بعده تلميذه الليث بن المظفر". انظر: فصول في فقه العربية، ص ٢٦٧.

أما المعطيات الصوتية في مقدمة العين فيمكن أن تقسم على قسمين بحسب ما استقرَ عليه الدرس اللساني الحديث، هما: علم الأصوات (*Phonétique*) وعلم التشكيل (*Phonologie*). لكننا نستبق الأمور لنؤكد أن الخليل لم يكن يقصد استيفاء كل صوتي (Phonologie) ماتوصل إليه من معلومات صوتية على سبيل المحصر، كما لم يكن معنياً بعرضها عرضاً متسلسلاً لأسباب قد ترجع إلى طبيعة الإملاء التي وسمت تأليف الكتاب. فغاية الخليل من كتابه كما تقدمت الإشارة هي حصر أبجية كلام العرب فلا يخرج منها عن هذا المحصر شيء. وقد دفعه إلى ذلك فهمه لأسرار تركيب الحروف من حيث المخرج والصفة، فنهد إلى إيضاح قواعد صوتية تركيبية يستعان بها على ذلك المحصر وعلى كشف المصنوع من الكلام.

١ - وأول ما يظهر للباحث من عمل الخليل الصوتي هو اهتماؤه إلى مبدأ اللغة الصوتي القائم على المشافهة التي كانت السبيل المثلث لتقسيم اللغة من أهلها قبل أن يتسع التدوين وتتطور الكتابة وتحظى بمكانة لائقة. ويتفق مسلك الخليل في الرجوع إلى المبدأ الصوتي وأسس التحليل اللغوي الذي ينطلق من كون اللغات تتصرف بكونها كلاماً منطوقاً يتداول مشافهة، لذلك وجب الاهتمام بالأصوات المنطقية قبل الحروف المكتوبة. ويبدو أنَّ الخليل لم يهجم على هذا المبدأ استناداً إلى معرفته بالمشافهة وسيلة نقل اللغة فقط، إنما توصل إلى ذلك بعد تدبُّر وإعمال نظر. فقد اتجه بدءاً من "حروف ألف وباء ووا وثاء..." أو حروف "أ، ب، ت، ث" (٢٤) فلم يستطع الاعتماد على الألف لأنَّه حرف معتل - كما يقول - فنظر في الحرف الثاني وهو الباء فلم يمكنه الابداء به أيضاً إلا بحججة ودليل. ولذلك نحنَّ الخليل هذا الترتيب الألفبائي الذي ابتدعه نصر بن عاصم (ت ٩٠ هـ) مراعياً التشابه الخططي بين الحروف. كما تجاوز الترتيب الأجمدي الموروث عن اللغات العروبية "السامية" القديمة، لأنَّه لا يشير إلى قيمة صوتية

(٢٤) انظر: العين، ٤٧/١، والفهرست، ص ٤٨.

تركيبيّة تعين على كشف خصائص الكلام العربي كما يبدو^(٢٥). وهكذا كان اعتماد الخليل الترتيب الصوتي بعد أن “دَبَرَ ونظر إلى الحروف كلّها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصَرَّ أولاًها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق”^(٢٦) ويتبيّن مما تقدّم أنَّ الخليل لم يتوصّل إلى ما توصلَ إليه عن طريق الاقتباس من مصادر أخرى، إذ لو كان ذلك قد حصل لما احتاج الخليل إلى التجربة والاستقصاء والتدبّر وإنعام النظر.

- ويؤيد توصّله إلى مبدأ اللغة الصوتي واعتماد الترتيب الجديد المستمد من الخارج من تقاء نفسه استناده إلى التجربة الخاصة وهي التي دعاها بـ ”ذوق الحروف“: فقد عرض أولاً للترتيب الألفبائي وأعرض عنه لما تقدّم ذكره من أسباب، ثم نظر في الحروف على أساس صوتي منطوق فكان ذوّاقه إليها، ثم وضعه لتسلاسلها بدءاً من الحلق وانتهاء بالشفتين.

ولكي يتم هذا الذوّاق الذي هو وسيلة للتوصّل إلى تسلسل الأصوات المخرجية كان يأتي بالحرف حالصاً من أي حركة بعد أن يفتح فاه بالألف (أي همزة الوصل)، لأن الصوت لا يفهم إلا بسكون الحرف. ” وإنما كان ذوّاقه إليها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو اب، ات، اغ ”^(٢٧). وروى سيبويه وصفاً مسماً لحوار جرى بين الخليل وتلاميذه حول التلفظ بالحرف، انتهى منه الخليل بعد أن استمع إلى صور خاطئة إلى أن الصحيح أن يقال: إِبْ وَإِيْ وَإِدْ، فَالْحَقُّ أَفَّا مُوصولة^(٢٨). وقد نقل ابن جني هذه الطريقة حين عرض لذوق الحروف في كتابه ”سر صناعة الإعراب“ من غير أن يشير إلى مصدره، وكأنه صاحب الطريقة أصلاً، وهذا دأبه في

(٢٥) انظر: مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد، ص .٩٦

(٢٦) انظر: العين، ١/٤٧.

(٢٧) العين، ١/٤٧.

(٢٨) انظر: سيبويه، الكتاب، ٣٢٠/٣ - ٣٢١

الكثير مما قبسه من الخليل أو نقله من كتاب العين بنصه^(٢٩).

لقد أظهرت التجربة للخليل أنَّ الحروف كلُّها تخرج من الخلق، فذهب إلى اعتماد تسلسل يبدأ من أعمقها (أدخلها) في الخلق ثم يتدرج (الأرفع فالأرفع) حتى يصل إلى آخرها وهو الميم. ولا يزال الخليل - كما يروي الليث - يستعمل حروف (ا، ب، ت، ث) للدلالة على الحروف من غير أن يصف ترتيبها بالألباني أو المعجمي من جهة، ومن غير أن يطلق على ترتيبه الجديد اسمًا خاصًا من جهة أخرى^(٣٠). ويبدو أنَّ كلمة "الخلق" الواردة في الموضع المتعلقة بذوق الحروف لاتشير بالضرورة إلى مخرج "الخلق" الذي تصدر منه الأصوات الحلقية الستة. فربما كانت كلمة الخلق هنا تدل على مصدر الحروف الذي تخرج منه بداية سواءً أكانت تتوقف فيه أم تتجاوزه إلى ما يعلوه من أعضاء أو موضع نطقية أخرى.

- ٣ - ويحدد الخليل عدد الحروف التي ألفت منها أبنية كلام العرب بتسعة وعشرين حرفاً أوردها ثلاث مرات. ففي المرة الأولى أورد الليث تأليف الخليل للحروف التسعة والعشرين معدداً إياها دون ذكر للعدد^(٣١) على حين أنه في المرة الثانية ذكر العدد وسمى حروف العلة فقط، فقد روى عن الخليل أنه قال: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاها لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والمهمزة"^(٣٢). أما في المرة الثالثة فقد أوردها مع ذكر

(٢٩) انظر: ابن حني، سر صناعة الإعراب، ١/٦ - ٧، وانظر مثلاً على نقله من العين، ١/٦٥.

(٣٠) وردت عبارة "حروف المعجم" في رواية الأخفش الأوسط التي جاءت في كتاب التذكرة لأبي حيان ضمن سؤال للأخفش نفسه: "... يقول: سألك الخليل بن أحمد عن حروف المعجم.."، ص ٢٩، كما وردت منسوبة إلى الليث في لسان العرب، ١/١٣.

(٣١) انظر: العين، ١/٤٨.

(٣٢) انظر: العين، ١/٥٧.

العدد مرتين، وأشار إلى أنها مرتبة على الولاء صحيحها ومعنّلها^(٣٣). والمحروف التسعة والعشرون التي أوردها الليث عن الخليل هي نفسها لدى سيبويه الذي ذكر أن “أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً”^(٣٤). ثم أوردها في ترتيب مخالف للخليل. لكنه أضاف بعد ذلك حروفاً أخرى دعاها بالفروع التي أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة بلغت اثنين وأربعين^(٣٥). كذلك نقل الأزهري في مقدمة التهذيب رواية الليث التي ذكرناها آنفاً، ثم نقل عن غير ابن المظفر (أي الليث) عن الخليل أنها ثمانية وعشرون حرفاً. وسبب ذلك هو أنَّ حروف العلة نقصت حرفاً هو الألف فبقيت منها ثلاثة هي الممزة والياء والواو^(٣٦). غير أنَّ هناك رواية عن الليث جاءت في “تذكرة النحاة” لأبي حيان تحدد عدد الحروف بثمانية وعشرين، منها خمسة وعشرون حرفاً من الصحاح. أما المعتلة فلم تذكر ولذلك لا نعرف أيَّ حرف منها أُسقط من العدد^(٣٧). كذلك روى في “التذكرة” عن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) أنه سُأله الخليل عن حروف المعجم وعن أحيازها وبمجاريها إلى الفم، فأجابه بأنها ثمانية وعشرون أصلاً. لكنه ذكر في تصاعيف روايته تسعة وعشرين حرفاً مضيفاً إليها النون الخفية التي تخرج من الخياشيم^(٣٨). ويبدو أنَّ هاتين الروايتين اللتين تنسبان إلى كتاب الجنادة المروي الأزدي (ت ٣٩٩ هـ) تحتاجان إلى توثيق آخر حتى يرکن الباحث إلى صحة ماجاء فيهما. وإذا عرف الباحث ماتعرض له كتاب

(٣٣) انظر: العين، ١/٥٨.

(٣٤) سيبويه، الكتاب، ٤/٤٣١.

(٣٥) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٢. ويعني أنَّ الحروف التسعة والعشرين صارت مع الفروع اثنين وأربعين.

(٣٦) انظر: التهذيب، ١/٤٨، ٥٠.

(٣٧) انظر: التذكرة، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣٨) انظر: التذكرة، ص ٢٩ - ٣١. وقد ذكر الأخفش الواو والياء مرتين، مرة مع الحروف

(ص ٢٩)، وأخرى مع الصحاح دون تفريق (ص ٢٩ - ٣٠)

القسم الأول

”الذكرة“ من خلط وخلل صار الاعتماد على ماورد فيه وحده أمراً غير مطمئن. أما ابن جني فقد أكد ”أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعه وعشرون حرفاً“. لكنه ذكر أن المبرد (ت ٢٨٥ هـ) يعدها ثمانية وعشرين ويدع الألف التي هي في أول الحرف (أ، ب، ت، ث...)، لأنها همزة لاتثبت على صورة، ويجعل الباء أول الحروف. ويرد ابن جني على المبرد مبيناً أنها موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، فسبيلها أن تعتد حرفاً كغيرها^(٣٩). وهكذا يتبيّن أن هذا الاختلاف مبعثه سبب كتابي وصري فيتصل بالألف اللينة تارة وبالمهمزة (الألف اليابسة) تارة أخرى. وسنرى لاحقاً شيئاً من هذا الاختلاف عند الخليل نفسه.

٤ - وبعد أن أملى الخليل ملحوظات تتصل بالأبنية والمخارج رتب الحروف التسعة والعشرين على هذا النحو (ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م)، وهذه هي الحروف الصحاح. ثم (و ا ي ء) وهي حروف العلة^(٤٠). ويلاحظ أن هذا الترتيب مخالف لما اعتمدته سيبويه وابن جني وغيرهما من علماء اللغة والتجويد. فسيبوبي عرض حين تحدث عن المخارج هذه الصورة للترتيب (ء هـ ا، ع ح، غ خ، ق، ك، ج ش ي، ض، ل، ن، ر، ط د ت، ز س ص، ظ ذ ث، ف، ب م و)^(٤١). وذكر ابن جني أن ”هذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب العين فقيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته“^(٤٢).

(٣٩) انظر: ابن جني، سر الصناعة، ٤١/١ - ٤٣.

(٤٠) انظر: العين، ١/٥٨.

(٤١) انظر: الكتاب، ٤٣٣/٤ - ٤٣٤.

(٤٢) انظر: سر الصناعة، ٤٥/١ - ٤٦.

لكن بعض اللغويين القدماء جعل من هذا الترتيب الوارد في كتاب العين والمخالف لترتيب البصريين ولا سيما سيبويه تلميذ الخليل وحامل علمه سبيلاً للطعن في العين، ونسبته إلى الخليل. وقد نقل عن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) أنَّ من أسباب عدم الوثوق بنسبة العين للخليل "أنَّ جميع ما وقع فيه من معاني النحو إنما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين. فمن ذلك ما بدأ الكتاب به، وبني عليه من ذكر مخارج الحروف في تقاديمها وتأخيرها، وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل في كتابه..."^(٤٣) وكان المفضل بن سلمة الكوفي (ت ٢٥٠هـ) قد سبق إلى الاعتراض على الابتداء بالعين من غير أن ينسب ذلك إلى الكوفيين: "ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين، لأنَّها أقصى الحروف مخرجًا. قال: والذي ذكره سيبويه أنَّ الهمزة أقصى الحروف مخرجًا. قال: ولو قال: بدأت بالعين لأنَّها أكثر في الكلام وأشدَّ احتلاطاً بالحروف لكان أولى"^(٤٤). ونقل ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) وهو نحوي كوفي عن سمع الخليل أنه قال "لم أبدأ بالهمزة لأنَّها يلحقها النقص والتغيير والحدف، ولا بالألف لأنَّها لا تكون في ابتداء الكلمة، ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا باهاء لأنَّها مهمومة خفية لاصوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والباء فوجدت العين أنسع الحرفين فابتداأت به ليكون أحسن في التأليف. وليس العلم بتقدم شيء على شيء، لأنَّ كلَّه مما يحتاج إلى معرفة، فإذا بدأت كان حسناً، وأولاها بالتقديم أكثرها تصرفاً"^(٤٥). وروى الأزهري من غير طريق الليث ما يشبه رواية ابن كيسان في الحديث عن الهمزة والألف: "فاما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياء. فاما الألف اللينة فلا صرف لها... فالآلف اللينة هي أضعف الحروف

(٤٣) سرهر. ١. ٨٥.

(٤٤) سرهر. ١. ٩٠.

(٤٥) سرهر. ١. ٩٠.

المعتلة، والهمزة أقواها متناً. وخرجها من أقصى الخلق من عند العين”^(٤٦).

والحق أن الموازنة بين عمل الخليل مما رواه الليث عنه من جهة، وما استقرّ عليه الدرس الصوتي عند سيبويه من جهة أخرى لاستنوفي الشروط التي تسوغها. إذ كان سيبويه متوفراً على تقديم خلاصة للدرس الصوتي من جماع آراء شيوخه وما استقرت عليه حلقات العلم في عصره، وسوقها لفهم الإدغام. ويلاحظ أنه تجنب في الصفحات القليلة التي أوجز فيها المعلومات الصوتية الأساسية أسلوبه المعتمد في الحكاية عن شيوخه أو سواهم أو محاورتهم. على حين أن الخليل لم يكن متوفراً على عمله هذا التوفّر بسبب ما ذكرناه من طبيعة رواية الكتاب، كما لم يكن قاصداً ترتيب المعلومات الصوتية على شكل دراسة شاملة موضوعة في إطار تأليفي معهود. إنما كان مهتماً بالوقوف على قواعد التشكيل الصوتي وصولاً إلى ابتناء معجم شامل. ويؤكد ذلك أن مقدمة العين تخلو من معلومات صوتية مهمة كان يفترض ورودها في أول الكتاب كالمهمس والتفحيم والغنة، لكنها وردت في مواضع أخرى متفرقة^(٤٧).

أما ابتداؤه بالعين خاصة فقد أوضحت أسبابه تلك النقول التي أثبتناها آنفاً ولا سيما ما ذكره ابن كيسان وما رواه الأزهري مما يؤكّد معرفة الخليل بخرج الهمزة - وقد ذكر ذلك الليث في المقدمة - وعدوله عن الابتداء بها لأسباب رأيناها فيما تقدّم. فليس هناك تناقض فيما رواه الليث عن الخليل الذي ذكر أن الهمزة ”خرجها من أقصى الخلق مهتوة مضغوطة، فإذا رفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح“^(٤٨). وذكر أن ”أقصى الحروف كلّها العين“^(٤٩) لأنّ الهمزة حرف معتل ليست له صورة ثابتة صوتياً وخطياً بسبب قربه من حروف العلة

(٤٦) التهذيب، ١/٥١.

(٤٧) انظر، العين، ٤/١٠ - ١١، ٧/١٥، ٨/١٦٧، ٤/١٤٢، ٨/١٧٤.

(٤٨) العين، ١/٥٢.

(٤٩) العين، ١/٥٧، ١٠.

ومن حيث كونه هاوياً في الهواء وليس له حيز ينسب إليه. أما العين فهي أقرب الحروف الصحاح إلى الجوف (الخلاء الداخل إلى الحلق) وتشغل الحيز الثاني من أحياز الأصوات ومتاز بالنصاعة، فابتداً بها الخليل لغاية تشكيلية معجمية. ويمكن مع ذلك ابتناء ترتيب خليلي آخر للأصوات يقرب من ترتيب سيبويه إذا أخذ الباحث في الحسبان الروايات المتعددة التي ضمنت آراء أخرى للخليل مما لا نجد له لدى الليث.

وليس لدينا دليلاً على أن الكوفيين انفردوا بعلم خاص للأصوات، على نحو ما أوحت به عبارة الزبيدي علماً بأن الخليل رأس اللغويين عامة وإن عدّ بصرياً. وليس كون سيبويه تلميذاً للخليل ونقله عنه جل علمه بخانع الخليل من أن تكون له جهود أخرى بعيدة عما اختص به تلميذه الأول سيبويه، ولا سيما إذا كان مجال التوظيف مختلفاً.

٥- وقسم الخليل الأصوات التسعة والعشرين إلى قسمين: صحاح أي صوامت، وجوف أي صوائب. فقد روى الليث أن الخليل قال: ”في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والباء والألف اللينة والهمزة“^(٥٠). ورأى الخليل أن الصحاح هي التي تقع في مدارج محددة من مدارج اللسان أو الحلق أو اللهاة ولها حيز تنسب إليه وموضع تتسمّ به، فتكون حلقة أو هوية أو شجرية أو أسلية... أما العلل فليس لها ما ذكرنا من مواضع محددة تخرج منها، فلا تنسب إلى شيء من الأحياز أو المدارج أو المحارج، إنما تنسب إلى الجوف والهواء^(٥١).

وتختلف الروايات في عدد هذه الأحرف المعتلة مما يسبب اختلافاً في عدد المجموعة الصوتية كما رأينا سابقاً. فالليث يروي في ”العين“ عن الخليل أنها أربعة أحرف هي

(٥٠) العين، ١/٥٧، والتهذيب، ٤٨/١ - ٥٠.

(٥١) انظر: العين، ١/٥٧ - ٥٨، والتهذيب، ٤٨/١.

القسم الأول

الواو والياء والألف اللينة والهمزة^(٥٢). كذلك نقل الأزهري عن الليث أنها أربعة يقال لها حروف العلل، إضافة إلى أنها جوف وهوائية^(٥٣). لكن الأزهري ينقل من رواية أخرى ليست للّيث عن الخليل بجعل الحروف ثمانية وعشرين حرفاً تقسم إلى نحوين: معتل وصحيح. والمعتل منها ثلاثة هي الهمزة والياء والواو^(٥٤). ثم ينقل قولها لاحقاً يذكر فيه أن الحروف المعتلة أربعة هي الهمزة والألف اللينة والياء والواو. وينقل بعد ذلك كلاماً مهماً عن سبب جعلها معتلة وعن مبدئها وتشكلها واختلاف بعضها كالواو والياء في حالتي الاعتلal والقوّة، أي في حال كونهما صائتين أو نصف صائتين^(٥٥). كذلك بحد الأخفش الأوسط يجعلها ثلاثة لأربعة - وهو يعدّ عن الخليل حروف العربية ثمانية وعشرين - هي الياء والواو والألف التي يصفها بالجوف لبدوّها من الجوف^(٥٦).

وليس لدى الليث فيما رواه عن الخليل في مقدمة العين تفسير لمصطلح "حروف العلة" مانحلا إشارة يفهم منها أن حروف العلة فيها لين وتغيير يجعلها مختلفة عن الحروف الصباح^(٥٧). لكن الأزهري يورد مراراً مصطلح "حروف العلة أو العلل"، ويروي تفسيراً لها منسوباً إلى الخليل عن غير طريق الليث. قال: "واتلاتها تغيرها من حال إلى حال، ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض. قال: وسائل الحروف صحاح لا تغير عن حالتها أبداً غير اهاء المؤنثة..."^(٥٨) وقال بعد ذلك :

(٥٢) انظر: العين، ١/٥٧ - ٥٩.

(٥٣) انظر: التهذيب، ١/٤٨ - ٥٠.

(٥٤) انظر: التهذيب، ١/٥٠.

(٥٥) انظر: التهذيب، ١/٥١ - ٥٢.

(٥٦) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٥٧) انظر: العين، ١/٥٢.

(٥٨) انظر: التهذيب، ١/٥٠.

”والعويس في الحروف المعتلة وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو. فإذا اهتزَّتْ فلَا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياء، فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدة بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو...“^(٥٩).

ويؤكِّد هذان النقلان وجة الخليل الصرافية التي جعلته ينحِّي الهمزة والألف عن أن يبدأ بهما ترتيبه المعجمي، فكلاهما كثير التغيير لاتثبت له صورة في الخط، كما أنه عرضة للحذف لفظاً^(٦٠).

أما السمات الصوتية التي تميَّز هذه الحروف من غيرها من الصحاح، فقد ذكر الليث منها أنها جوف وهوائية وهوائية في الهواء وليس لها حيز تنسُب إليه على طريقة الصحاح^(٦١). لكن ذلك لا يمنع من أن يكون لها حيز أو أكثر تنسُب إليه نظراً لمبدئها كالمجوف أو الهواء على غير طريقة الصحاح. كما لا يمنع من أن تختلف مجاريها وتباين مبادئها، فيكون لكل منها حيز متدرج^(٦٢). فحرف العلة التي لا تنسُب إلى حيز أو مدرجة حين تقارن بالصحاح أو تنسُب إلى الهواء والمجوف تقريرياً تختلف مدارجها حين تعالج بمعزل عن الصحاح.

فالهمزة من أقصى الخلق من عند العين^(٦٣). وهي في الهواء وتخرج من المجوف. أما الياء والواو والألف فأصلهنَّ من عند الهمزة، وإن كن يجرين في مجرى واحد مع اختلاف المدارج. وتتصف الهمزة أيضاً بكونها وسطاً بين الصحاح والعلل من حيث

(٥٩) التهذيب، ١/٥١.

(٦٠) انظر: التهذيب، ١/٥٢.

(٦١) انظر: العين، ١/٥٧ - ٥٨.

(٦٢) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٦٣) انظر: التهذيب، ١/٥١، والعين، ١/٥٢، ٥٨.

قربها من مخرج المحلق ولا سيما مخرج العين مما سوّغ إبدالها من العين أو من الغين التي تجاورها أيضاً كما نقل الأخفش عن الخليل^(٦٤). ويبدو أنَّ الهمزة في حال كونها مهتوة مضغوطه تقترب - كما يفهم مما تقدم - من الصحاح، على حين أنها تلين وتصير الياء والألف والواو على غير طريقة الحروف الصحاح إذا رفَّ عنها^(٦٥). وربما كان المقصود بالهتَّ والضغط ما يستشعره الناطق بالهمزة من عصر وشدَّ وانحباس نتيجة انطباق لسان المزمار انتباهاً تماماً ثم انفراجها سريعاً. أما لين الهمزة فهو كما يظنَّ عدول الناطق عن الهمز أي الضغط إلى حرمان الهواء داخل فراغ الخنجرة دون حبس. فالهمزة وإن عدَّها الخليل من حروف العلة بسبب كثرة ما يعتريها من تغيير يقللها حرفأً من حروف العلة تبقى أقوى هذه الحروف متناً^(٦٦).

أما الألف اللينة والواو والياء فهي جوف وهوائية، ولها حيز واحد يجمعها مع الهمزة تارة^(٦٧)، ويستقل بها دون الهمزة تارة أخرى^(٦٨). ويبدو أنَّ ما يجمع هذه الحروف مع الهمزة هو قرب مباديهما إذ أصل مبتدئهن من عند الهمزة^(٦٩) وكثرة تحول الهمزة إلى ياء أو واو أو ألف. أما ما يجعلها مختلفة عنها فاتصافها - كما يروي الأخفش عن الخليل - باليين وامتداد الصوت لذلك سميت حروف المد واللين^(٧٠). وبنحو لدى الأزهري عن طريق آخر غير الليث وصفاً لهذه الحروف وهي في حالة اللين والاعتلال.

(٦٤) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٦٥) انظر: العين ١ / ٥٢، والتهذيب، ١ / ٤٤.

(٦٦) انظر: التهذيب، ١ / ٥١.

(٦٧) انظر: العين، ١ / ٥٨.

(٦٨) انظر: العين، ١ / ٥٧ - ٥٨.

(٦٩) انظر: التهذيب، ١ / ٥١.

(٧٠) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

”فالواو الساكنة بعد الضمة، والباء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة“^(٧١) وتكون هذه الحروف في مجرى واحد مبدئه من عند الهمزة إلا أن مدارج أصواتها مختلفة. ويبدو أن المقصود بالمدارج هنا أمكنة التشكّل وهيئاته على نحو قريب من الوصف الحديث للصوات^(٧٢). ”مدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الباء مخفضة نحو الأضلاس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين وأصلهن من عند الهمزة“^(٧٣).

ويظهر في التقليدين السابقين كليهما (عن الأخفش والأزهري) التفاتات الخليل إلى التفريق بين الألف من جهة والباء والواو من جهة أخرى. فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة التي تختلف حالتها فتجرى على مجارٍ شتى^(٧٤). على حين أن الواو والباء هما صورتان، إحداهما صورة الاعتلال وهي التي وصفناها آنفًا نقلًا عن الأزهري وهي المقصودة بكلام الليث المقول عن الخليل في العين، والأخرى صورة الصحة والقوّة التي تجعلهما ينسبان إلى مخرجين من مخارج الصحاح. فالباء تشارك الجيم في مخرج، والواو تشارك الباء والميم في مخرج آخر كما يروي الأخفش^(٧٥). أما مانقله الأزهري منسوباً إلى الخليل فهو أكثر وضوحاً في الدلالة على حالة ”أنصاف الصوات أو الصوامت“ التي بينها الدرس الصوتي الحديث. ”فالواو والباء إذا جاءتا بعد فتحة قوية، وكذا إذا تحرّكتا كانتا أقوى“^(٧٦) فهما في هذه الحالة لايسقطان حين التقائهما بساكن، بل يتحرّكان كما تحرّك الصحاح.

(٧١) التهذيب، ٥١/١.

(٧٢) انظر موجزاً لهذا الوصف في كتابنا مبادئ اللسانيات، ص ٨٨ - ٩٥.

(٧٣) انظر: التهذيب، ٥١/١.

(٧٤) انظر: التهذيب، ٥١/١ - ٥٢.

(٧٥) انظر: التذكرة، ص ٢٩ - ٣٠.

(٧٦) التهذيب، ٥٢/١.

٦- أما الحروف الصحاح فقد قرر الخليل لها مخارج محددة، ثم جمع ماقرب منها في ألقاب استمدّها من أعضاء النطق. لكن الخليل لم يعين عدداً للمخارج على نحو مارأيناه لدى سيبويه ومن تلاه كابن جني وغيره. وقد نسب -مع ذلك- إلى الخليل أنه جعلها سبعة عشر مخرجًا، وذهب هذا المذهب ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) وأكثر القراء والنحويين. أما سيبويه وابن جني والشاطبي فقد عدوا ستة عشر مخرجًا وأسقطوا مخرج الجوف. وذهب آخرون كقطرن والجرمي والفراء إلى أنها أربعة عشر مخرجًا. وسبب ذلك أنهم أسقطوا مخرج الجوف وجعلوا مخارج اللام والراء والنون مخرجًا واحداً^(٧٧). لكن الأخفش الأوسط يروي عن الخليل أن حروف العربية هي ثمانية وعشرون أصلاً ولها ستة عشر حيّزاً^(٧٨).

ويروي الليث عن الخليل في مقدمة العين تأليفه للحروف منطلقاً من الحلقة، لأنه بعد أن دبر ونظر وذاق الحروف وجد أن مخرج الكلام كلّه من الحلقة، فصيّر أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلقة ثم وضعها على قدر مخرجها من الحلقة^(٧٩). وهكذا كانت بداية ترتيب الحروف عند الخليل من الحلقة باتجاه الفم فالشفتين. ثم عرض الخليل للمخارج عرضاً غير مستقصٍ حين تحدث عن فكرة الذلقة والإصمات، وهي من بدائع مأتى به في هذا العمل الرائد. ويبدو أنّ حديثه في هذا الموضوع كان عاماً، فقد جمع مخارج متعددة في مخرج واحد (كالجيم والقاف والكاف، واللام والراء والنون، والفاء والباء والميم، والعين والباء والخاء والغاء والغين)^(٨٠).

(٧٧) انظر: ابن جني، سر الصناعة، ٤٦/١ - ٤٨، ومكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص ٢١٧، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١٩٨/١ - ١٩٩، وزكريا الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، ص ٤٠.

(٧٨) انظر: الذكرة، ص ٢٩.

(٧٩) انظر: العين، ٤٧/١ - ٤٨.

(٨٠) انظر: العين، ٥١/١ - ٥٢.

أما حديثه المفصل للمخارج فقد جاء في موضع آخر حين قسم المخروف إلى صحاح - وهي خمسة وعشرون كما تقدم - لها أحياز ومدارج، وعلل أو جوف - وهي أربعة - ليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف فهي هوائية. وكان طبيعياً أن يتدىء بمخارج الحلق وفاء بما كان قرر بعد النظر والتدبر.

أ- فالهمزة بحسب أحد أقوال الخليل تخرج من "أقصى الحلق" وهي مهتوة مضغوطة، أما إذا رفّه عنها فإنها تلين وتصير ياء أو واواً أو ألفاً على غير طريقة المخروف الصحاح^(٨١). وتسقط الهمزة من عدة الصحاح بحسب آراء أخرى فلا يكون لها حيز لأنها في الهواء أو هوائية أو جوفية أو معتلة. أما العين والخاء والهاء والغين فتخرج من الحلق ولها حيزان: الأول وهو "الأقصى" ويكون للعين - وهي أقصى المخروف أيضاً في روایة أخرى - ثم الخاء ثم الهاء. والثاني "الأدنى" ويكون للخاء والغين^(٨٢). ويضيف الخليل كما يروي النضر بن شبل إلى المخرج الثاني الهمزة^(٨٣). أما روایة الأخفش فتجعل الهمزة والهاء والخاء والعين معاً (دون ذكر حيز أو مخرج)، على حين تبقي العين والخاء في مدرجة تالية^(٨٤). ويروي ابن كيسان - كما جاء في المزهر - عمن سمع من الخليل كلاماً يبرئ الخليل من تضارب الآراء إن صحت روایتها عنه دون تغيير. يقول ابن كيسان: "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها التقص والتغير والحدف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء الكلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلية، ولا بالهاء لأنها مهوسنة خفية لاصوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والخاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتداط به

(٨١) انظر: العين، ١/٥٢.

(٨٢) انظر: العين، ١/٥٧ - ٥٨.

(٨٣) انظر: التذكرة، ص ٢٧.

(٨٤) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

ليكون أحسن في التأليف”^(٨٥). ويتفق هذا الكلام وتقسيم سيبويه للمخارج، إذ جعل الصحاح والعلل على صعيد واحد، فابتداً بالهمزة والألف والباء ولها أقصى الحلق، ثم العين والباء، ولها وسط الحلق ثم الغين والباء ولها أدنى الحلق^(٨٦).

ب- وجعل الخليل القاف والكاف والجيم - في رواية^(٨٧) - في مخرج واحد يكون بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. لكنه عدل عن هذا الجم مع دقة الوصف إلى جعل القاف والكاف لهويتين، والكاف أرفع^(٨٨). ويشير هذا إلى الفصل بين مخرجين وإن كانت التسمية واحدة. ويؤيد هذا الفصل ما جاء في رواية النضر بن شميل من انفراد كل واحد منهم، فقلّ وقوع البدل بينهما لذلك^(٨٩). وتؤكد رواية الأخفش الأوسط هذا الفصل، لكنها تضيف شرحاً لخروج القاف والكاف ربما فهم منه تقديم الكاف على القاف، وهو مالم يثبت لدى القدامى. فقد نصّ سيبويه ومن تلاه على أنّ القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، على حين أن الكاف من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى^(٩٠).

ج- ثم جعل الخليل الجيم والشين والضاد في حيّز واحد هو شحر الفم، أي مفرجه. وليس لدى الليث من روايته عن الخليل شيء آخر يشير إلى فضل بيان هذه الحروف. لكن النضر بن شميل يذكر أن الخليل قال إن ”الشين والجيم والباء شحريّة، لأن مبدأها من الشجر، ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك... ثم الضاد، وهي حافية لأنها من حادة

(٨٥) المهر، ١/٩٠.

(٨٦) انظر: الكتاب، ٤/٤ - ٤٣٢.

(٨٧) انظر: العين، ١/٥٢.

(٨٨) انظر: العين، ١/٥٨.

(٨٩) انظر: التذكرة، ص ٢٧.

(٩٠) انظر: التذكرة، ص ٢٩، وقارن بالكتاب، ٤/٤٣٢.

اللسان وما يليها من الأضراض^(٩١) وتويد رواية الأخفش الأوسط هذا التقسيم، إذ يجعل الخليل بحسب هذه الرواية الشين بعد الكاف ثم الجيم ثم الياء. وتضطرب المطبوعة بعد هذا الموضع، لكن المرجح -بعد النظر في سياق الكلام- أنه ذكر الصاد بعد ذلك^(٩٢). ويبدو أن لقب "شجرية" يعمّ الشين والجيم والياء والصاد، لذلك نقل عن الليث في التذكرة أن الخليل يسمى الصاد شجرية^(٩٣). وليس هناك ما يمنع الجمع بين روایات الليث والنصر والأخفش فتكون الشين والجيم والياء والصاد من مخرج واحد ثم الصاد من مخرج تالي يجمعهما لقب الشجرية لأنهما من حافة اللسان، وهو مالم يشع عند القدامى مع أنهم أفردوا الصاد بمخرج مستقل ونصوا على أنها تخرج من أول حافة اللسان^(٩٤).

د - ويلي ذلك من مخارج الصحاح مخرج الصاد والسين والزاء وهي في حيز واحد، ومبؤها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان^(٩٥). وجاء في رواية النصر عن الخليل "الصاد والسين والزاي أسلية لأن مبؤها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرفة"^(٩٦) أما في رواية الأخفش فقد ذكر العضو الثاني الذي يسهم في إخراج هذه الطائفة. يقول الأخفش: "ثم الصاد والسين والزاي ولها من وسط اللسان شباته ومن فريق الثنایا سرتاه"^(٩٧). ويمثل هذا الوصف وصف سيبويه في الكتاب^(٩٨).

(٩١) التذكرة، ص ٢٧.

(٩٢) انظر: التذكرة، ص ٢٩ - ٣٠.

(٩٣) انظر: التذكرة، ص ٢٨.

(٩٤) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٢، وسر الصناعة، ١/٤٧، والرعاية، ص ١١٤، والنشر، ١/٢٠٠، وال دقائق المحكمة، ص ٤٤.

(٩٥) انظر: العين، ١/٥٨.

(٩٦) التذكرة، ص ٢٧.

(٩٧) التذكرة، ص ٣٠.

(٩٨) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٢.

القسم الأول

هـ - ثم ذكر الخليل الطاء والذال والثاء وجعلها في حيز واحد، وهي نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى^(٩٩). وتضييف روایتا النضر والأخفش العضو الثاني الذي تجري عليه هذه الأحرف. ففي روایة النضر: "ثم الطاء"^(١٠٠) والذال والثاء نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى وجرأها على طرف اللسان وأصول الثنایا "^(١٠١)". وفي روایة الأخفش: "ثم الطاء والذال والثاء من طرف اللسان وأطراف الثنایا "^(١٠٢). وبمجموع هذه الروایات المنسوبة إلى الخليل أكبر مما جاء لدى سيبويه ^(١٠٣).

و - وتأتي الطاء والذال والثاء في حيز واحد، وهي ثوية، لأن مبدأها من اللثة^(١٠٤). وفي روایي النضر والأخفش تفصيل لما أجمله الليث. فالنضر ينقل عن الخليل قوله: "ثم الطاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة، وجرأها بين طرف اللسان وأطراف الثنایا العلا "^(١٠٥). وفي روایة الأخفش: "ثم الطاء والذال والثاء مما بين طرف اللسان وأطراف الثنایا "^(١٠٦). ويتطابق وصف سيبويه لهذه الأحرف مارواه الأخفش تماماً^(١٠٧).

ز - ثم تأتي الراء واللام والنون في حيز واحد، وهي ذلقة، لأن مبدأها من ذلك اللسان، وهو تحديد طرفي ذلك اللسان^(١٠٨). وفي موضع آخر من المقدمة أنها ذلقة

(٩٩) انظر: العين، ١/٥٨.

(١٠٠) في مطبوعة التذكرة "الطاء" معجمة وهو خطأ. انظر: التذكرة، ص ٢٨.

(١٠١) التذكرة، ص ٢٨.

(١٠٢) التذكرة، ص ٣٠.

(١٠٣) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٢.

(١٠٤) انظر: العين، ١/٥٨.

(١٠٥) التذكرة ، ص ٢٨.

(١٠٦) التذكرة، ص ٣٠.

(١٠٧) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٢.

(١٠٨) انظر: العين، ١/٥٨.

تخرج من ذلك اللسان من طرف غار الفم^(١٠٩). ويشير الليث في موضع ثالث إلى أن الراء واللام والنون اخرفن عن ظهر اللسان، وأن اللسان لا ينطلق إلا بالراء واللام والنون^(١١٠). وهناك رواية أخرى للبيت عن الخليل في "الذكرة" ، فيها شيء من الإيضاح والزيادة كعبارة "مخارج". يقول: "والحيز الآخر حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف: الراء واللام والنون مخارجها من مدرجة واحدة من أسلة اللسان وبين مقدم الغار الأعلى"^(١١١). وتتفرق رواية النضر عن الخليل بتفصيل وا Farrell يفهم منه أن هذه الأحرف لها مبدأ واحد ثم يستقل كل منها بمخرج مستقل. يقول النضر: "ثم الراء واللام والنون ذلك، والواحد أذلق، لأن مبدأها من ذلك اللسان وهو كذلك السنان، وذلق كل شيء تحديد طرفه. وهذه الحروف يجمعها الذلق ويفرقها المنطلق، لأن مجرى اللام من حافات اللسان إلى منتهي طرفة، وبمجرى النون بين فوقي الشايا من طرف اللسان، وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام لمزيد دموجها في ظهر اللسان عند الكلام، ولقرب مخارجها يبدل بعضها ببعض"^(١١٢). وفي رواية الأخفش تفصيل آخر مهم، يقول: "ثم من حروف اللسان إلى منتهاء مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في حيز التمام، لأن بحراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثنى معارضًا لأصول الشايا والرباعيات مشاركًا لبعضها في الأحرف. ثم النون المتحركة ولها بدل الكفاف لحق القرب والتحرك والانحراف، ومعنى الكفاف: أنه لا يدغم في النون المتحركة غير اللام، فكأنه لأفضل فيه لغيره وهي مشربة غنة، وتخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الشايا، وأقرب الحروف منها اللام... ثم الراء بينهما، وهو أدمج من النون في

(١٠٩) انظر: العين، ١ / ٥١.

(١١٠) انظر: العين، ١ / ٥٢.

(١١١) الذكرة، ص ٢٦.

(١١٢) الذكرة، ص ٢٨.

القسم الأول

العكد لأنحرافه إلى اللام كالمستعكـد^(١١٣). وليس لدى سيبويه -مع افتقاره إلى الكثير مما تقدم - زيادة على هذا الوصف المستوفـي إلا ذكر الضاحـك والناب في وصف اللام^(١١٤). وإذا أخذ المرء بما جاء في الروايات السابقة كلـها ظهر مقدار ما أوتي الخلـيل من معرفة واسعة بآليات النطق وأحيائه.

ح - وجاء في الحـيز الأخير الفاء والباء والميم، وهي شفوية أو شفهـية، لأن مبدأها من الشـفة^(١١٥). وجاء في موضع آخر من المقدمة : " ثلاثة شفوية : ف ب م، مخرجـها من بين الشـفتـين خـاصـة، لـاتـعمل الشـفتـان في شيء من الحـروف الصـحـاح إلا في هـذـه الأـحـرـفـ الـثـلـاثـةـ فقط"^(١١٦). وكان الخلـيل - كما روـى الليـثـ - يسمـي المـيمـ مـطـبـقـةـ، لأنـهاـ تـطبـقـ الفـمـ إـذـ نـطـقـ بـهـا^(١١٧). وعنـ الليـثـ فيـ كتابـ التـذـكـرـةـ إـضـافـةـ هيـ أنـ هـذـهـ الأـحـرـفـ لـاعـمـلـ لـلـسـانـ فيـ شيءـ مـنـهـا^(١١٨).

وفي رواية النـضرـ: " ثمـ الـباءـ وـالـمـيمـ وـالـوـاوـ شـفـهـيـةـ .. وـالـفـاءـ مـنـ حـرـوفـ الشـفـةـ"^(١١٩). أما رواية الأـخـفـشـ فأـوضـحـ فيـ التـحـدـيدـ منـ سـابـقـتهاـ. يـقـولـ الأـخـفـشـ نـقـلاـ عنـ الخلـيلـ: " ثمـ الـفـاءـ مـنـ باـطـنـ الشـفـةـ السـفـلـىـ وـأـطـرـافـ الشـنـايـاـ العـلـاـ. ثمـ الـباءـ وـالـمـيمـ وـالـوـاوـ مـنـ بـيـنـ الشـفـتـينـ"^(١٢٠). وهـكـذاـ تـمـتـ الـصـورـةـ، إـذـ صـارـ لـلـحـرـوفـ الشـفـوـيـةـ غـرـجانـ، أحـدـهـماـ

(١١٣) التـذـكـرـةـ، صـ ٣٠.

(١١٤) انـظـرـ: الـكتـابـ، ٤ / ٤٢٣.

(١١٥) انـظـرـ: الـعينـ، ١ / ٥٨.

(١١٦) الـعينـ، ١ / ٥١ - ٥٢.

(١١٧) انـظـرـ: الـعينـ، ١ / ٥٨.

(١١٨) انـظـرـ: التـذـكـرـةـ، صـ ٢٦.

(١١٩) التـذـكـرـةـ، صـ ٢٨.

(١٢٠) التـذـكـرـةـ، صـ ٣٠.

للفاء والآخر للباء والميم والواو غير المدية^(١٢١). وإذا أخذ الماء في الحسبان تلك الروايات النسوية إلى الخليل وهي تنقل أبعاضاً من مقدمة العين تبيّن له أنّ ماورد لدى سيبويه ما هو إلا إيجاز لعلومات جهة تنسب إلى الخليل وحده كما جاء في تلك الروايات. أما ما اعتبرى رواية المقدمة عند الليث من إيجاز واضطراب فمردّه إلى مبلغ ما أخذ الليث من الخليل بما له توظيف معجمي من جهة، ومقدار مأصادب تدوين كتاب العين ونسخه من خلل زيادة أو نقصان من جهة أخرى.

٧- وقسم الخليل الحروف إلى مجموعات متقاربة اشتقت أسماءها من أسماء الموضع التي تخرج منها الحروف. فقال^(١٢٢):

- ١- الحلقية، لأن مبدأها من الحلق وهي العين والباء والهاء والخاء والغين والهمزة.
- ٢- اللهوية، لأن مبدأها من اللهاة، وهمما هويتان: القاف والكاف.
- ٣- الشجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، وهي الشين والجيم والضاد والياء.
- ٤- الأسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي الصاد والسين والزاي.
- ٥- الطعوية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، وهي الطاء والدال والتاء.
- ٦- اللثوية، لأن مبدأها من اللثة. وهي الظاء والثاء والذال.
- ٧- الذلقيّة، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهي الراء واللام والنون.
- ٨- الشفهية والشفورية، لأن مبدأها من الشفة، وهي الفاء والباء والواو والميم.
- ٩- الجوفية أو الهوائية، وليس لها حيز على طريقة الصحاح فتنسب إلى الجوف أو الماء. وهي الألف اللينة والواو والياء المديّتان.

(١٢١) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٢.

(١٢٢) انظر: العين، ١/٥٨.

القسم الأول

ويؤكد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) صاحب كتاب "الرعاية..." نسبة هذه الألقاب إلى الخليل في مقدمة كتاب العين. يقول: ".. وبقيت عشرة ألقاب تمام أربعة وأربعين لقباً، لقبها بذلك الخليل بن أحمد في أول كتاب العين، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء الموضع التي تخرج منها الحروف.."^(١٢٣). ويدرك مكي في كل موضع ماعدا الموضع الأخير (الهوائية) لأنَّ مكررَ أنَّ الخليل هو الذي سماهن بذلك^(١٢٤). كذلك أكَّدت النقول المستمدَة من المقدمة أو المنسوبة إلى الخليل في "التهذيب" و"التذكرة" نسبة تلك الألقاب إلى الخليل^(١٢٥).

ويقطع الدكتور إبراهيم أنيس بأنَّ نسبة هذه المصطلحات إلى الخليل نسبة غير صحيحة، وإنَّ فقد كنا نتوقع أنْ يجد لها صدِّيًّا في كلام سيبويه تلميذُ الخليل ووارثُ الكثير من علمه وآرائه. ثم يقرَّر بأنَّ هذه المصطلحات ظهرت في القرن الرابع حين احتدم النقاش بين العلماء حول كتاب العين ونسبته إلى الخليل. ويرفض الدكتور أنيس الاستناد إلى السيرافي (ت ٣٦٨هـ) شارح كتاب سيبويه أو ابن دريد صاحب الجمهرة أو النسخ التي عثر عليها حديثاً من كتاب العين - كما يقول - وفيها نفس المصطلحات^(١٢٦). وحين يعرض ابن جنِي في "سر الصناعة" بعضَ من مصطلحات الخليل وآرائه كذوق الحروف وائلاتها وذلاقوها وإصماتها يسارع الدكتور أنيس إلى تحقيق نسبتها إلى ابن جنِي نفسه دون دليل^(١٢٧).

- ذكر الخليل عدداً من صفات الحروف في تصاعيف آرائه المثبتة في مقدمة

(١٢٣) الرعاية، ص ١١٣.

(١٢٤) انظر: الرعاية، ص ١١٣ - ١١٦.

(١٢٥) انظر: التهذيب، ٤٨/١، والتذكرة، ص ٢٥ - ٣٠.

(١٢٦) انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٠٧ - ١١٢.

(١٢٧) انظر: المرجع السابق، ص ١١٠.

كتاب العين دون قصد منه إلى الاستيعاب أو التقسيم والترتيب. ومعظم ماورد من الصفات جاء توضيحاً لآليات النطق حين الحديث عن المخارج أو حين شرح صفي الذلالة والإصمات وما يتعلق بهما من قواعد التشكيل الصوتي. لكن ذلك لا يعني أن الخليل جهل الصفات التي لم ترد في المقدمة خاصة، لأن ر بما عرض لصفات عديدة في أثناء كتاب العين، كالمهمس (العين، ٤/١٠ - ١١)، والتفحيم (العين، ٧/١٥٧)، والغنة (العين، ٤/١٤٢، ٨/١٧٤). ولا شك في أن تتبع كتاب العين كاملاً سيضيف أشياء جديدة إلى ماجاء في المقدمة أو يوضحها على الأقل.

من ذلك أنه وصف المهمزة بأنها مهتوة مضغوططة فإذا رفعت عنها لانت فصارت الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح^(١٢٨). وربما قصد من المحت والضغط انطباق لسان المزمار، على حين أنه قصد بالترفية التخفيف من انطباق لسان المزمار. أما الذين فواضح من تحول المهمزة إلى ياء أو واو أو ألف.

ومنه أيضاً وصفه الهاء بجموعة من الصفات كاللين والهشاشة والهشة أو الهمة، وهي عامة نفس لا اعтикаض فيها^(١٢٩). ويبدو أن المقصود من كلام الخليل ماعرفناه في الدرس الحديث من حالة الانفتاح الشديد السعة الذي يكون الجهاز الصوتي فيه حالياً من الحبس والتضيق، ومن أي اعتراض أو تحويل بحرى الهواء. وقد ذهب بعض الدارسين إلى جعل صوت الهاء ناتجاً من هذا الانفتاح الذي يخرج الصوت من الصوامت الرخوة أو الاحتكاكية. ويدعى ما يصدر على تلك الحالة بالأصوات الهاوية (Aspirées) كالماء^(١٣٠).

ووصف الخليل التاء والدال والطاء بصفات متضادة. فالطاء فيها صلابة وكرازة،

(١٢٨) انظر: العين، ١/٥٢.

(١٢٩) انظر: العين، ١/٥٤، ٥٧.

(١٣٠) انظر: مبادئ اللسانيات، ص. ٨٠.

القسم الأول

على حين أن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، كما أنها ارتفعت عن خفوت التاء فحسنت. ويبدو أن المقصود بالصلابة والكزازة الإطباق الذي يميز الطاء من اختيئها الدال والتاء. أما ليونة الدال وارتفاعها عن خفوت التاء فيبدو أن المقصود به ماتمتاز به الدال من جهر ووضوح سمعي لاتجاريها التاء فيما، لأنها مهمومة وأقل وضوحاً في السمع من الدال، لذلك وصفت بالخفوت^(١٣١).

كذلك وصف الخليل السين بالتوسيط الذي رأه في الدال. فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك^(١٣٢). فالسين مهمومة وكذلك الصاد، لكن الصاد تمتاز منها بالإطباق. كما تمتاز الزاي من الصاد والسين بأنها مجهرة وهما مهمومستان.

ووصفت الراء واللام والنون عامة بالآخراف، لأن اللسان ينحرف حين النطق بها فيغدو النطق جانبياً (Latérale)^(١٣٣). ومن الملاحظ أن سيبويه وابن جني اقتصرا على وصف اللام بالآخراف، على حين أن مصنفي التجويد كابن الجوزي اعتدوا حرفياً اللام والراء منحرفين على الصحيح، ونسب الاقتصر على اللام إلى البصريين^(١٣٤).

ووصف حرف العين والقاف بصفات الطلقة وضخامة الجرس والنصاعة، لذلك إذا دخلتا في بناء يخلو من حروف الدلاقة حستنه^(١٣٥). وتمتاز العين والقاف بالجهر والوضوح السمعي معاً. كما تمتاز القاف بالاستعلاء والشدة والقلقلة، على حين أن العين تمتاز بالتوسيط بين الشديدة والرخوة فتتمثل ما يطلق عليها الآن الأصوات المائية (Liquides) التي تضم الواو والياء واللام والراء والميم والنون. وقد لوحظ أن هذه

(١٣١) انظر: المرجع السابق، ص ١١٠.

(١٣٢) انظر: العين، ٥٢/١ - ٥٤.

(١٣٣) انظر: العين، ٥٢/١ وقارن بمبادئ اللسانيات، ص ٨٧.

(١٣٤) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٥ وسر الصناعة، ٦٢/١، والنشر، ٢٠٤/١.

(١٣٥) انظر: العين، ٥٢/١ - ٥٤.

الأصوات تكثُر لتشكيل المقطع لاتساع مجرى الهواء معها وجمهورها ووضوحها السمعي وكثرة دورانها في الكلام^(١٣٦).

وهناك صفات أخرى وردت عرضاً حين الحديث عن المدخلخرج، كقوله عن اليم إنها مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها^(١٣٧). وقوله عن الحاء إنها تختار يحنة لولاما لا شبّهت العين لقرب مخرجها من العين^(١٣٨). وفيحة كما يتّبع صوّيت يتحقق نطق الحاء ساكرة على نحو مشابه للصوّيت المحادث حين القلقلة في حروف قطّب جدّ.

وحاء في "التهذيب" تقدلاً عن الثابت صفات أخرى لبعض الحروف التي مرّت بنا آنفًا. فالعين إضافة إلى ما جاء في المقدمة من وصفها بالطلقة وضخامة الجرس والتصاعدة وصفت بأنها "أنفع الحروف جرساً وألذها سعماً". وللقف وصفت كذلك بما مرّ من صفات في المقدمة ثم وصفت في "التهذيب" بالرواية نفسها بأنها "أصحّها جرساً"^(١٣٩).

وحيث عرض "التهذيب" لرواية أخرى ليست للبيت ورد تفصيل للحروف الصنم - وهي خلاف الذلق - على نحو جعلها قسمين: مستعملة ومحتفضة. فالمستعملة هي حروف شواخص وعدتها خمس: "ط، ض، ص، ظ، ق". والمحتفضة - من الصنم - تسعة أحرف هي: "ك، ج، ش، ز، س، د، ت، ذ، ث"^(١٤٠).

وورد في الرواية الأخيرة أيضاً وصف للكلمات الخالية من حروف الذلاقة حين تمخالطها السين فتحسن لما في السين من توسط: "وقد حاءت كلمات مسيئة شواذ،

(١٣٦) انظر: مبادئ اللسانيات، ص ٧٨ - ٧٩. ونحدّر الإشارة إلى أن هناك اختلافاً بين القدامى والمخدين حول حصر القاف، إذ يجعلها المخدين مهموسة. انظر: مبادئ اللسانيات، ص ٨٢.

(١٣٧) انظر: العين، ١/٥٨.

(١٣٨) انظر: العين، ١/٥٧.

(١٣٩) انظر: التهذيب، ١/٤٥.

(١٤٠) التهذيب، ١/٥١.

القسم الأول

نحو: عسجد، وعسطوس^(١٤١)). ثم أوردت الرواية ذكر "المسيئة" مضيفة صفات جديدة للسين: "فلست واحداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولا كلاماً رباعياً كذلك غير المسيئة التي ذكرتها. واستخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها. ولذلك استخفت السين في است فعل"^(١٤٢). وهكذا حملت هذه الإضافة التي فسرت توسط السين صفاتٍ أخرى مع اشتقاق كلمة "المسيئة" صفة للكلمات التي تدخلها السين من الخماسي والرباعي الذي يخلو من حروف الذلقة.

أما كتاب "التذكرة" فقد أورد برواية الليث قسمة الحروف المصمتة - أي الصتم - إلى "شواحص" هي: ظ، ض، ص، ط، ق "دون ذكر صفة الاستعلاء. و "منخفضة" وهي التي جاءت في التهذيب عن غير طريق الليث. لكن المصطلح هنا : "منخفضة" وليس "منخفضة" كما مرّ بنا آنفاً^(١٤٣). كذلك جاء في الرواية نفسها ماثلاً برواية التهذيب حول صفات السين.. "فلست واحداً في جميع كلام العرب كلمة خماسية بناؤها من الحروف المصمتة خاصة، ولا رباعية كذلك، غير ضرب واحد يقال له الرباعي المعدى، وهو قليل، وما جاء فالسين لازمة له نحو: عسجد، وعسطوس، وإنما استخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها، ولذلك استخفت في: سيفعل واست فعل"^(١٤٤).

وجاء في "التذكرة" برواية النضر: "ولولا همة في الماء لأشبأه الحاء، لقرب مخرج الماء من الماء"^(١٤٥). وربما كانت همة تحريفاً لهبة أو هبة كما جاء في مقدمة

(١٤١) التهذيب، ٥٠/١.

(١٤٢) التهذيب، ٥١/١.

(١٤٣) انظر: التذكرة، ص ٢٦، وقارن بالتهذيب، ٥١/١. وربما كان في الأمر تحريف.

(١٤٤) التذكرة، ص ٢٦.

(١٤٥) التذكرة، ص ٢٧.

العين^(١٤٦). وجاء في رواية الأخفش الأوسط وصف للحروف الجوف يجعلها حروف مَدَ ولين للينها وامتداد الصوت فيها^(١٤٧). ويبدو أن المقصود بهذا الوصف تلك الحالة التي وردت في "التهذيب" عن غير طريق الليث، على هذا النحو "فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة. وهؤلاء في مجرى واحد"^(١٤٨). ثم جاء بعد ذلك وصف للواو والياء وما متحركتان أو ساكتتان بعد الفتحة، على غير طريقة العلل أو الجوف. وأورد الأخفش فيما رواه عن الخليل صفة للتون هي الغنة حال الإخفاء والإدغام الناقص. "فالتون المتحركة تكون "مشربة غنة". والتون المخفية تخرج من الخياشيم"^(١٤٩).

٩- وننهي هذا القسم الخاص بمعطيات علم الأصوات النطقي وهو جزء مما ندعوه "بالفونيتيك" بالوقوف عند جهاز النطق عند الخليل. وقد عمدنا إلى تأخيره، لأن تحديده لم يكن مقصوداً لذاته، فربما عدّت معرفته من باب المعلومات اللغوية العامة، لأنها مستمدّة من معطيات خلق الإنسان عند العرب، وليس فيها شيء مفترض من العلوم الجديدة أو علوم العجم. فأعضاء جهاز النطق ترد عادة عند اللغويين وال نحوبيين في درج الحديث عن المحارج ثم الصفات. وإذا عرض في أثناء ذلك مصطلح غريب الدلالة أو جديدتها شُرح في موضعه بأو جز عبارة.

وقد تبيّن لنا بعد درس المقدمة أنّ الخليل عرض لأكثر أعضاء النطق مما له إسهام في النطق وكان يقع تحت الملاحظة أو الاعتبار. وجاء في هذا الصدد ذكر للجوف والخلق والقُمِّ وما فيه.

(١٤٦) انظر: العين، ١/٥٧.

(١٤٧) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(١٤٨) التهذيب، ١/٥١.

(١٤٩) التذكرة، ص ٣٠ - ٣١.

ففي المقدمة برواية الليث ذكر الحلق وأقصى الحلق ومدارج الحلق^(١٥٠). وذكر الفم وغار الفم وأقصى الفم وشجر الفم ومفرج الفم^(١٥١). وذكر اللسان وأصلة اللسان وذلق اللسان وظهر اللسان وعكدة اللسان ومدارج اللسان ومستدق طرف اللسان وتحديد طرق ذلق اللسان^(١٥٢). وذكر الغار الأعلى والطبقتين واللهاة ومدرج اللهاة ونطع الغار الأعلى واللثة وباطن الثنایا^(١٥٣). وذكر الشفة والشفتين^(١٥٤). وذكر الجوف والهواء^(١٥٥). وذكر الأحياز والمدارج وموضع الحرف ومدرجه ومخرجه^(١٥٦).

وجاء في روايات "التهذيب" "زيادة على ماتقدم: أدخلها في الحلق، وطرف أصلة اللسان، والطبقان بدلاً من الطبقتين، وذولق اللسان"^(١٥٧). كما جاء أيضاً: "مقدم الغار الأعلى، وأصل اللسان وطرف اللسان"^(١٥٨).

أما في روايات "التذكرة" ماخلاً الذي تقدم فقد ذكر: "أدنى الحلق، وموضع الذلاقة"^(١٥٩). وذكر: "الحنك، ووسط الحنك، ووسط اللسان، وحافة اللسان، وحافاته، ومنتهى طرف اللسان، والأضراس، وأصول الثنایا، وأطراف الثنایا العلا، والثنایا العلا، والشفة السفلی، وفويق الثنایا، وبجرى الحرف"^(١٦٠). وذكر أيضاً: "متدرج، المحاري، شباء اللسان، سراته، باطن الشفة السفلی، وفوق اللسان، وفويق

(١٥٠) انظر: العين، ١/٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٧، ٥٨.

(١٥١) انظر: العين، ١/٤٧، ٥٠، ٥٨، ٥١/١.

(١٥٢) انظر: العين، ١/٤٩، ٥٢، ٥٧، ٥١/١، ٦٠، ٥٨.

(١٥٣) انظر: العين، ١/٥٢، ٥٧، ٥٨.

(١٥٤) انظر: العين، ١/٥١، ٥٨.

(١٥٥) انظر: العين، ١/٥٧، ٥٨.

(١٥٦) انظر: العين، ١/٥٧، ٥٨، ١/٥١، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٤.

(١٥٧) انظر: التهذيب من رواية الليث، ١/٤٤، ٤٨.

(١٥٨) انظر: التهذيب من رواية أخرى، ١/٥١.

(١٥٩) انظر: التذكرة من رواية الليث، ص ٢٥، ٢٦.

(١٦٠) انظر: التذكرة من رواية النضر، ص ٢٧، ٢٨.

الحنك، حافة المنباس، الشدق الأيمن والأيسر، وحرروف (أطراف) اللسان، ومتنهى اللسان، الحنك الأعلى، الشبك المثنى، وأصول الرباعيات، وعكك اللسان، والخياشيم”^(١٦١).

وإذا نظر المرء إلى هذه الروايات النسوية إلى الخليل مجتمعة هاله ما كان يتصرف فيه من معلومات واسعة ودقيقة تزيد في تفصيلاتها على ما يعتمده الدرس الحديث من تحديد لأعضاء النطق مع تقدم الوسائل وتتابع الخبرات. أما لدى القدامى فيصعب تصور هذا الجمّ الغفير من أعضاء النطق لدى مؤلف واحد. وقد اقتصر سيبويه ومن تلاه من حذفه على الأهم والأشياع من هذه الأعضاء دون الدخول في مثل مامر بنا من تفصيلات دقيقة. وليس عند سيبويه إضافات خلا ذكره الضاحك والناب، وأوسط الخلق، وأقصى اللسان، والأنف^(١٦٢). وليس هناك دليل يشير إلى أن سيبويه هو صاحب هذه المصطلحات وإن أوردها في كتابه كما تقدم، إذ تبقى مسألة استمداده درسه الصوتي من الخليل قائمة^(١٦٣). أما المصطلحات نفسها فليست على قدر كبير من الأهمية عدا “أوسط الخلق” لدلالة على مخرج حلقى مستقل عن أقصى الخلق وأدنائه. وفي المزهر عن ابن كيسان نقلًا عن سمع الخليل أنه ذكر الحيز الثاني لحرروف الخلق وفيه العين والباء، وهو نفسه المخرج المسماً بوسط الخلق أو أوسط الخلق^(١٦٤).

وهناك فضل بإيضاح في ذكر ”الضاحك والناب“، على حين أن ”أقصى اللسان“ عبر عنه بأصل اللسان وعكك اللسان. أما ”الأنف“ فقد ورد لدى سيبويه في أثناء الحديث

(١٦١) انظر: التذكرة من رواية الأخفش، ص ٢٩، ٣٠.

(١٦٢) انظر: الكتاب، ٤٢/٤ - ٤٣٦.

(١٦٣) انظر: المزهر، ١/٨٥ وقارن بتمام حسان: اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ٥١.

(١٦٤) انظر: المزهر، ١/٩٠.

القسم الأول

عن الغنة التي يعني ذكر "الخياشيم" معها عن ذكر الأنف. وقد تقدم ذكر "الخياشيم" في الروايات السابقة عن الخليل.

ونتهي من هذا الرصد كله إلى أن الخليل ومن تقبيله من تلاميذه ولاحقيه عرفوا أعضاء الجهاز النطقي استمداداً من معارفهم اللغوية فيما دعي بـ "خلق الإنسان"، وهو جانب دلالي غني بالمعارف الطبية العربية أصلاً قبل أن تظهر مرات الترجمة وما أتت به من علوم أجنبية. كما أدت الملاحظة والتجربة إلى وصف كافٍ لآليات النطق والتحقق من خرج الحرف وبيان صفاتاته. وليس في معرفة هؤلاء العلماء لأعضاء النطق نقص إلا الخنجرة ولا سيما الوترتين الصوتين^(١٦٥). ويبدو أن عدم ذكر الخنجرة في أثناء حديث الخليل وسيبويه ومن تلاميذه عن الخارج كان يؤدى بقولهم "أقصى الحلق" الذي نسبوا إليه صوتي الهمزة والهاء، وهما صوتان حنجريان كما أثبتت الدراسات الحديثة. لكن ابن سينا (ت ٢٨٤هـ) ذكر الخنجرة ووصف أجزاءها وصفاً تshireجياً مسهباً، ونسب صوتي الهمزة والهاء إليها، غير أنه لم يشر إلى الوترتين الصوتين^(١٦٦). وخلص الدكتور غامق قدورى الحمد إلى أن بعض علماء التجويد عرف الخنجرة، وإن لم تصل تلك المعرفة إلى حد إدراك دور الوترتين الصوتين في إنتاج الأصوات^(١٦٧).

فالنقص المؤثر في الدرس يبدو واضحاً في عدم معرفة القدامى عامة للوترتين الصوتين مما سبب غموضاً في تعريفهم للمجهور والمهموس من الأصوات^(١٦٨). إذ لم

(١٦٥) سبب ذلك هو جعلهم الخنجرة جزءاً من الحلق لاستقلال له، مع أن كلمة (حنجرة) معروفة لديهم، وقد وردت مرتين في القرآن الكريم بصيغة الجمع (الأحزاب، آية ١٠) و (غافر، آية ١٨). انظر: خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت، ص ١٩٠ - ١٩٢. وانظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٤.

(١٦٦) انظر: ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص ١٠٨ - ١١٢، ١١٤.

(١٦٧) انظر: الحمد، غامق قدورى، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٥٧٧.

(١٦٨) يستغرب لا يكون لدى ابن سينا ذكر للوترتين الصوتين أو بيان لأنزهما على سبيل التقريب مع معرفته الواسعة بالتشريح والطب.

يُكَنْ مُتِيسِرًا بحال من الأحوال وقوف أولئك اللغويين على دقائق التشريح وتعقّدهم في فهم آليات النطق. لكن هؤلاء الذين جهلو الوترتين الصوتين ودورهما في التصويب عامة والجهر خاصة تحسّسوا شيئاً من التردّيد أو الصوت أو الصدى المنبعث من الصدر أو الحنجرة، وهو إدراك أولى للأثر الذي تولّده حركة الوترتين الصوتين^(١٦٩).

(١٦٩) انظر أمثلة على ذلك : سيبويه، الكتاب، ٥٤٨/٣، وابن حني، سر الصناعة، ٨/١، وابن البناء، كتاب بيان العيوب التي يجب أن ينتبهما القراء وإيضاح الأدوات التي يبني عليها الإقراء، ص ٣٢، والخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٤، والاستراياذى، شرح الشافية، ٢٥٨/٣ - ٢٥٩، وهنرى فليش، "التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب"، ص ٥٨، وغام قدوسي الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٥٧٨ - ٥٧٧.

مسائل صوتية تشكيالية

رأينا فيما تقدم أنَّ غاية المعلومات الصوتية التي وضعها الخليل بين يدي تلميذه الليث هي الوصول إلى طرق التشكيل الصوتي. فالأصوات اللغوية المنعزلة لا تحمل على انفراد إلا بنوع من التجريد. فلا يتكلّم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية^(١٧٠). ولأجل ذلك ظهر في الدرس اللساني الحديث تفريق بين نوعين من الدرس الصوتي، أحدهما خاص بالجوانب النطقية والفيزيائية والسمعية، وهو ما يطلق عليه مصطلح "علم الأصوات" أو الفونيتيك. والآخر خاص بأصوات لغة معينة من اللغات من جهة نظام تركيبها واتلافها وما يتفرع من ذلك، ويطلق عليه مصطلح "علم الأصوات التشكيلي" أو الفونولوجيا.

وقد أوضح الخليل قصده الرئيس من عمله في "كتاب العين" حين ذكر أنَّ غاية تأليف الحروف هي معرفة كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج عنها شيء من ذلك^(١٧١). ولذلك حدد الحروف لأنها أساس ما يترکب من الكلام. ثم ذكر أصناف كلام العرب كالثنائي والثلاثي والرباعي والخمساني. وبين أقسام الكلم كالحرف نحو: قد و لم وهل،

(١٧٠) انظر: فندريس، اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، ص ٨٣.

(١٧١) انظر: العين، ٤٧/١ ، ٥٤ ، ٦٠ .

وال فعل الثالثي: كضرب وخرج، والاسم كعمر وجمل. وذكر أيضاً مسائل تركيبية كزيادة ألف الوصل في قولهم: اقشعرَ وما أشبهه، والتشديد الدال على حرفين. وأوضح الخليل أنَّ الاسم لا يكون أقلَّ من ثلاثة أحرف، ثم راح يناقش بعض الكلمات التي تبدو ثنائية كاليد والفم والدم مبيناً أنَّ حرفها الثالث ذهب لعلة كالحذف لالتقاء الساكنين^(١٧٢). ويبدو أنَّ ماعبر عنَّه الخليل وليد استقرار أصول الكلم في العربية الفصحى على الأصول الثلاثية. ولذلك لم يتصور الخليل الاسم والفعل أقلَّ من ثلاثة أحرف. وعكس ذلك أنَّ الثنائي كفرد وهل ولو إذا أردت جعله اسمأً أدخلت عليه التشدید حتى يصير ثلاثة نحو قدَّ وهلَ ولو^(١٧٣).

ثمَّ شرع يفصل ما يحسن في الأبنية من الذلاقة والطلاقة. فحرروف الذلاقة ستة هي "ر، ل، ن، ف، ب، م" وهي من حيث النطق قسمان، أحدهما يكون بطرف أسلة اللسان، وذلك للثلاثة الأولى الذلُّ أو الذلقة وهي "ر، ل، ن"، والآخر يكون من بين الشفتين خاصة، وذلك للثلاثة الثانية أي الشفوية، وهي "ف، ب، م". وكلا القسمين يتصف بالذلاقة وهي صفة تولَّد من انطلاق اللسان بالراء واللام والنون من طرف أسلته، كذلك تولد من خفة عمل الشفتين. "فَلِمَا ذَلَقَتِ الْحُرُوفُ السَّتَّةُ وَمَذَلَّ بِهِنَّ الْلِسَانَ وَسَهَلَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَنْطَقِ كَثُرَتْ فِي أَبْنِيَةِ الْكَلَامِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ مِّنْ بَنَاءِ الْخَمْسِيِّ التَّامِ يَعْرِي مِنْهَا أَوْ مِنْ بَعْضِهَا"^(١٧٤). وجاء في رواية أخرى لليث عن الخليل - كما أثبت صاحب "الذكرة" - أنَّ حروف الذلاقة "أخفَّ الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنتها في البناء، ولا يحسن بناء الرباعي المنبسط ولا الخماسي التام إلا بمحالطة بعضها"^(١٧٥).

(١٧٢) انظر: العين، ٤٩/١ - ٥١.

(١٧٣) انظر: العين، ٥٠/١.

(١٧٤) العين، ٥٢/١، والتهذيب، ٤٤، ١/٤٤، والذكرة، ص ٢٦.

(١٧٥) الذكرة، ص ٢٦.

القسم الأول

ووصف ابن جنی الذلقة، وبيّن أثر حروفها في بناء الرباعي والخمسى، وذكر حرف الطلاقة وهما العين والقاف، وحرف الاعتدال والتوسط وهما الدال والسين. كما ذكر الحروف "المصنفة" وهي سائر الحروف عدا ماتقدم. وواضح من كلام ابن جنی وأمثاله أنه يستقى من الخليل ومن كتاب العين أساساً، لكنه لم يشر إلى ذلك ألبته، فظهر وكأنه صاحب الفكرة. وهذا دأبه في كثير مما قبسه من الخليل معاتهمه كتاب العين بالفساد والتخليط^(١٧٦). لكن الأزهري سبق أن ثبتت نسبة الحديث عن الذلقة والطلاقة والإصمات إلى الخليل عن طريق روايتين، إحداهما لليث والأخرى لغيره من دون تعيين^(١٧٧). وربما كانت الرواية الأخرى عن طريق الأخفش الأوسط الذي رأينا له نقالاً عن الخليل كما جاء في "التذكرة". وقد نقل ابن دريد في الجمهرة أن الأشناذاني سمع الأخفش يفسر معنى الذلقة والمصنفة . وذكر مكي بن أبي طالب القيسي تفسير الأخفش للحروف المصنفة والذلقة، كما ذكر السيوطي شبهاً بذلك منسوباً إلى الأخفش أيضاً^(١٧٨).

والغريب حقاً هو ما قررته الدكتورة إبراهيم أنيس مطمئناً -على حد قوله- من أن مصطلحي "الذلقة" و "الإصمات" هما من وضع ابن جنی. "ويبدو أن ابن جنی حين لاحظ كثرة شيوع هذه الأصوات في اللغة العربية بحيث لا تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصواتها وضع لها هذه التسمية.."^(١٧٩). ثم راح الدكتور أنيس يتهم ابن جنی بالتكلف والتعسف، لأنه حين وجد بضع كلمات تختلف قاعدتها (كذا) حاول جاهداً تبريرها مثل الكلمة "عسجد". وينتهي الدكتور أنيس إلى أن "الذلقة" لاتعني

(١٧٦) انظر: سر الصناعة، ١، ٦٤/١، ٤٥.

(١٧٧) انظر: التهذيب، ٤٤/١، ٥٠/١ - ٥١ ونقل ابن منظور في مادة (ذلك) بعض ماجهاء في التهذيب (وهو للخليل كما نبيّن) وفي الحكم لابن سيده مع كلام ابن جنی في سر الصناعة. انظر: اللسان ١١٠/١٠ (ذلك).

(١٧٨) انظر: الجمهرة، ٤٥/١، والرعاية، ص. ١١٠، وهمع الموسوعة، ٢٢٠/٢.

(١٧٩) أنيس، الأصوات اللغوية، ص. ١١٠.

أكثر من معناها الشائع المأثور، وهو القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تغافل أو تلعم...»^(١٨٠). وسيظهر لاحقاً أنَّ كلَّ ما ذهب إليه الدكتور أنيس خطأ عرض. فحديث الذلاقة والإصمات وما يتصل بهما من أساس تشكيل الأصوات ليس لابن حني الذي لا ينسب إليه تكليف أيضاً. أما التهويين من شأن الذلاقة في تركيب الكلام فهم ظالمون لفكرة من أعظم ما تتجه الدرس اللغوي العربي مما نباهي به الأمم.

وينتقل الخليل بعد أن أوضح صفة الذلقة وحروفها وعدم خلوّ الرباعي أو الخماسي من حرف واحد أو اثنين من هذه الحروف، إلى تبيهه تلميذه الليث لاستثمار هذه الفكرة في تمييز الأصيل من الدخيل. «فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلقة أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدةعة ليست من كلام العرب، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلقة والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»^(١٨١). وهكذا يظهر مدى عمق الخليل من فهم قوانين التشكيل الصوتي دون اعتماد على أي أجهزة لم يكن لها في عصره وجود يذكر. ولا عجب من ذلك مع أن العصبة من أولى العزم تنوء بتجسمه، لأنَّ الخليل - كما قال القدامي - رجل لم ير مثله.

لكن تلميذه يستفسر -وحقه أن يستفسر بعد أن ألقى عليه الخليل قوله ثقيلاً- عن خلور الكلمة المولدة المبتداعة من حروف الذلاقة. فذكر الخليل أمثلة توضح قانونه، نحر "الكشطنج"، وهي كلمة مولدة أو مصنوعة أريد بها اللبس، والمعنى^(١٨٢).

ثم يخلص الخليل إلى أبعد مما سبق حين يذكر أنَّ البناء الرباعي لا يعرى من الحروف

(١٨٠) أنيس، المصدر السابق، ص ١١٠.

(١٨١) العين، ٥٢/١، وقارن بالتهذيب، ٤٤/١، والجمهرة، ٤٩/١. ويدل النص على معرفة العربي الصحيح من غيره كالدخيل أو المصنوع.

(١٨٢) انظر: العين، ١/٥٢ - ٥٣، والتهذيب، ١/٤٤.

القسم الأول

الذلّق أو بعضها كما تقدم ماخلاً بضمّ الكلمات حين شوّاذ لا يتحاوزن عشر كلمات^(١٨٣). ويبدو أنَّ الخليل أحاط خيراً بكلام العرب كله مسموعه ومقيمه، وإلا لم يكن يستطيع إطلاق هذا الحكم القاطع؟!

لكنَّ الأمر لا يتوقف عند هذه الكلمات التي وصفت بالشوّاذ، كالعسجد والقسطوس والقداحس والدعاشة والمدعنة والزهزقة ونحوها، إنما يتعدى ذكرها وعددها إلى تحليلها وبيان ما الذي سوّغها في النطق مع خلوّها من حروف الذلّقة.

وينتقل الخليل هنا إلى فكرة جديدة هي أنَّ القاف والعين يتصفان بالطلاقة وضخامة الجرس والتصاعنة، لذلك لا تدخلان في بناء إلا حستناه. فهذه الكلمات الشاذة لا تحسن دون أن يكون فيها القاف والعين. أما إذا كان البناء الحالى من حروف الذلّقة اسمًا فلتزمه السين والدال مع لزوم القاف والعين. لأنَّ السين والدال تتصفان بالتوسيط والاعتداش. وربما كانت السين وحدها دون الدال كافية لتحسين البناء نحو "عسطوس"، وذلك لخفتها السين وهشاشتها كما جاء في رواية عن غير الليث. وتدعى الكلمة المعتمدة على السين في تسويفها بالمسينة^(١٨٤).

وهكذا يتضح أنَّ الاسم الرباعي إذا عرَّى من الحروف الذلّق، فإنه لا يعرى من أحد حرف الطلاقة أو كليهما، ومن السين أو الدال أو أحدهما، ولا يضرّ مخالف من سائر الحروف الصتم. وغاية ذلك - كما ذكرنا مراراً - معرفة ما هو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم، نحو قتعج، إذ لا يناسب إلى عربية، لأنَّه مصنوع وإن جاء عن ثقة^(١٨٥).

ويستثنى الخليل ماجاء حكاية مؤلفة أو مضاعفة من معظم ما اشتراه قبلًا. والحكاية

(١٨٣) انظر: العين، ٥٣/١.

(١٨٤) انظر: العين، ١/٥٣ - ٥٤، والتهذيب، ١/٥٠ - ٥١، وقارن بالذكرة، ص ٢٦، وتجدر الإشارة إلى وقوع الخطأ في نقل كلمة "مسينة"، إذ صارت في الذكرة "مبينة". انظر: التهذيب، ١/٥٠ - ٥١.

(١٨٥) انظر: العين، ١/٥٤، والتهذيب، ١/٤٥.

هي بيان المحكى صوتاً مناظراً لأصوات الطبيعة. وهذا مما ابتدعه الخليل وسار عليه سيبويه ووسعه ابن جنی. فالخليل تنبه إلى هذا النوع من الرباعي الذي يقصد به محاكاة صوت أو حركة نحو صلصل وصرصر ودهداق وزهراء وغير ذلك مما سنعرض له لاحقاً. أما سيبويه فقد ذكر أمثلة من هذا النوع عندما تحدث عن دلالة المصادر، كالغليان والغثيان والخطران والمعان. ففي هذه المصادر زعزعة وتحرك واضطراب. وكذلك ماجاء من مصادر كالمهدير والضجيج والصهيل والنهاق. ومثله مصادر أخرى كالصراخ والناح. وسيبوه في هذا يجنو حنو الخليل، فقد ذكر أنَّ ماؤرده هو مأخذ الخليل^(١٨٦). أما ابن جنی فقد عقد باباً في "الخصائص" دعاه يامساس الألفاظ أشباه المعاني. وقد ذكر بداية أنَّ الخليل وسيبوه نبهما على هذا الموضع الشريف اللطيف، وأنَّ الجماعة تلقته بالقبول له والاعتراف بصحته. ونقل ابن جنی عن الخليل مثلاً أثبته الليث في مقدمة كتاب العين وهو "صرّ" و "صرصر". كما نقل من سيبويه بعض ما ذكره من حكاية المصادر. ووجد ابن جنی - كما يقول - من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحدها ومنهاج مامثلاه^(١٨٧).

ويتبغي التنبه إلى أنَّ هذه المسألة اتخذت شكلاً جديداً لدى ابن جنی الذي كان معيناً بإثبات صلة التناوب بين اللفظ والمعنى مما يستند إلى الحكاية ولا يقف عندها. أما صنيع الخليل فهو مختص بالرباعي المبني على الحكاية من حيث تأليف الحروف من الذلق والطلق والصتم. ولأنَّ في الحكاية تكراراً مستحسناً جاز فيها كل تأليف لا يجوز في غيرها.

ويفرق الخليل بين نوعين من الحكاية؛ الأول: الحكاية المولفة نحو دهداق وزهراء وأشباه ذلك. وأهـاء هنا لازمة له فصلاً بين حرفيه المشابهين مع لزوم العين والقاف أو

(١٨٦) انظر: الكتاب، ١٤/٤ - ١٥.

(١٨٧) انظر: الخصائص، ١٥٢/٢ - ١٥٣.

أحدهما. وسبب ذلك هو لين الماء وهشاشتها. أما إذا كانت الحكاية المؤلفة متضمنة أحد حروف الذلقة فلن تضر أكانت فيها الماء أم لا، نحو غطّطة، ولو لا ما في أمثلة الحكاية المؤلفة من تشابه الحرفين (الدالان في دهّاق، والزاياد في زهّاق، والطاءان في غطّطة) ماحسنت الحكاية بهما^(١٨٨). والحكاية المؤلفة على هذا النحو قليلة. ويرى الخليل أن بعض المستكريه مما يخلو من حروف الذلقة والطلقة كالمعنى يقبل لو أنه جاء على الحكاية وإن كانت الخاء بعد العين - وهو تابع مرفوض - لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها^(١٨٩).

أما النوع الثاني من الحكاية فهو الحكاية المضاعفة التي تتصف بأن حرف عجز الكلمة مثل حرف صدرها. ويرى الخليل أن هذا البناء بناء يستحسن العربية، فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ماجاء من الصحيح والمعدل ومن الذلق والطلق والصُّنم^(١٩٠). وأساس بناء هذا النوع هو الثنائي، لذلك يناسب إليه. ومن هذا النحو قولهم: "صلصل" للجام، لأنه يحكي صلصة اللجام، وأصله "صل" ويجوز في هذا النوع ماجاز في النوع السابق من تأليف الحروف كتابع الضاد والكاف، وهو تابع مرفوض في غير الحكاية. مثال ذلك أن "ضك" تأليف لا يحسن إلا إذا فصل بين حرفيه بفواصل. على حين أنه جائز في الحكاية المضاعفة من غير فصل، نحو "الضكضاكة". فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين، من الفصول والأعجاز والصدر وغير ذلك^(١٩١).

وذهب الخليل استكمالاً لموضوع الحكاية إلى أنَّ العرب تشتق المضاعف من الثلاثي المثلث بمحض التضعيف، ومن الثلاثي المعدل. فالحكاية كما يتضح ضرب من ضروب

(١٨٨) انظر: العين، ١/٥٤.

(١٨٩) انظر: العين، ١/٥٥.

(١٩٠) انظر: العين، ١/٥٥.

(١٩١) انظر: العين، ١/٥٦.

الاشتقاق يلحداً إليه للدلالة على محاكاة صوتية فيها تكرار وترجيع. فليست الحكاية إذن نقلًا ساذجًا لأصوات الأشياء أو محاكاة طبيعية لها، إنما هي شيء من أبنية اللغة له خصائص صوتية وصرفية دلالية. ويرى الخليل أنَّ الشاعر نحو “صل” لا يقدر للتصريف حتى يتقدَّم فيصير “صل” أو يضاعف فيصير “صلصل”， وهما معاً صوت اللجام، إلا أنَّ بينهما فرقاً، فصلٌ يوحِي بالملد، على حين أنَّ صلصلٌ يوحِي بالترجيع. وربما اختلفت دلالة المثلَّث عن المضاعف، وذلك نحو قولهم “صرَّ” الجندب، و”صرصر“ الأخطب، لأنَّ في الأول مداً وفي الثاني ترجيعاً. وهذا النوع كثير^(١٩٢). وكما اشتقت العرب المضاعف نحو “صلصل” من “صل” الثاني المضاعف اشتقا من الثالثي المعتل فقالوا: “تنحنخ” من “أناخ”^(١٩٣).

وليس في رواية الليث التي حملت كتاب العين شرح للحروف الصتم من حيث سبب التسمية أي “الصتم”， ومن حيث العدد معيناً دون التباس. كذلك تخلو رواية الليث التي أثبتهما الأزهري في “التهذيب” من أي إضافة إلى ماتقدم. لكن رواية أخرى لم يسمَّ صاحبها في “التهذيب” والغالب أنه الأخفش الأوسط تذكر مصطلحي “المذلة” و ”المصمة”. وجاء في هذه الرواية : ” وأما المصمة - وهي الصتم أيضاً - فإنها تسعه عشر حرفأً صحيحاً... وإنما سُمِّيَّت مصمة لأنها أصمت فلم تدخل في الأبنية كلها... ”^(١٩٤). وأنور أبو حيان في ”الذكرة“ نقلَّاً عن جنادة المروي ما يكفي من هذا الكلام إلى حدٍ بعيد مرويَاً عن الليث^(١٩٥). ويشير هذا التمايل إلى أنَّ مصدر هذه المعلومات هو الخليل نفسه. وفي ”سر الصناعة“ لابن جنِي أنَّ حروف الذلاقة ستة أما

(١٩٢) انظر: العين، ٥٦/١.

(١٩٣) انظر: العين، ٥٧/١.

(١٩٤) التهذيب، ٥١/١.

(١٩٥) انظر: الذكرة، ص ٢٥ - ٢٦.

القسم الأول

الحروف المصمتة فهي باقي الحروف. وسميت الحروف غير هذه الستة "مصمتة" لأنه صمت عنها أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معرأة من حروف الذلقة^(١٩٦). وينقل مكي بن أبي طالب عن ابن دريد عن الأخفش تقسيم الحروف إلى مذلقة ومصمتة، ويفسر المصمتة بأنها المتنوعة من أن تنفرد في كلمة طويلة من قوله : "صمت" إذا منع نفسه من الكلام. وهي حروف لاتخض ببناء أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، وذلك لاعتراضها وصعوبتها على اللسان. ويذكر مكي أنها اثنان وعشرون حرفاً، ثلاثة معتلات وهن الروا والباء والهمزة، وتسعة عشر من الصراح، والألف خارجة عن المذلقة والمصمتة، لأنها هواء لامستقر لها في المخرج^(١٩٧). وهكذا يتضح أن الحروف الصتم والمصمتة تضم حرف الطلاقة وحرف التوسط، فهي كلّ ما عدا الستة المذلقة.

ولنا وقفة نتبين فيها أهمّ خصائص هذه الأصوات من حيث النطق، والدوران، والتشكل. فمن حيث النطق وصف المحدثون اللام والنون والميم والراء من بين هذه الأصوات بالملائعة (Liquides)، لاتساع مجرى الهواء معها بما يقرب من اتساعه عند نطق الصوائت. وتشبه هذه الأصوات الصوائت في أنها صوائت عالية من حيث الواضح السمعي (Sonority)، ولذلك ترد (قمة) في المقطع على نحو ما يزيد الصوائت عادة. وتتصف أيضاً بالتوسط بين الشديدة والرخوة، أو بين الصوامت والصوائت^(١٩٨). كما تتصف بالجهر كالأصوات الصائبة أيضاً.

(١٩٦) انظر: سر صناعة الإعراب، ٦٥/١، ونقله ابن عصفور في المتنع، ٦٧٦/٢ - ٦٧٧.

(١٩٧) انظر: الرعاية، ص ١١٠ - ١١١، وقارن بالجمهرة، ٤٥/١.

(١٩٨) انظر: فندريس، اللغة، ص ٥٣ - ٥٤، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٢٢ - ٢٤ وص ١٦١، وكمال بشر، الأصوات، ص ١٣١ - ١٣٢، وثمام حسان، مناجع البحث في اللغة، ص ١١٣، وعبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص ٢٥٩ - ٢٦١، ومبادئ اللسانيات، ص ٧٨ - ٧٩.

أما من حيث دوران هذه الأصوات في الكلام فقد توصل علماء التعمية واستخراج المعنى إلى تحديد مراتب "دوران الحروف" من حيث الكثرة والقلة في اللسان العربي. وأجمع هؤلاء على أن الحروف "المصوتة" هي أكثر الحروف في كل لسان، أما الألف فهي أكثرها في العربية^(١٩٩). أما ماعدا المصوتة أو حروف المد واللين فقد تبين أن اللام والميم والنون والهاء والراء والسين والباء هي أكثر الحروف دوراناً لدى ابن الدريهم (ت ٧٦٢هـ). على حين أن اللام والميم والنون والهاء والراء والعين والفاء هي أكثر الحروف دوراناً لدى الكلبي (ت ٢٦٠هـ) وابن دينير (ت ٦٢٧هـ) وابن عدلان (ت ٦٦٦هـ)^(٢٠٠). كما انتهى الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" إلى أن اللام والنون والراء هي أكثر الحروف دوراناً في القرآن الكريم^(٢٠١).

وأثبتت الدراسات الحاسوبية بذور "الصحاح" و "لسان العرب" و "تاج العروس" أن أكثر الحروف دوراناً في العربية هو الراء واللام والنون والباء والميم، ثم العين

(١٩٩) سبق هؤلاء سيبويه الذي أشار إلى كثرة دخول الياء والواو والألف في الكلام، إذ لا يعرى الكلام من الياء والواو والألف أو من بعضهن. انظر: الكتاب، ٤/٣٣٩.

(٢٠٠) انظر: رسالة الكلبي في استخراج المعنى، ص ٢٢٦، ورسالة ابن عدلان في حل التزاحم، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، ورسالة ابن الدريهم في إيضاح المرموز، ص ٣٢٢، وهي ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، دراسة وتحقيق للدكتور محمد مرادي وعمر حسان الطبيان وبخيت مير علم، وتقديم الدكتور شاكر الفحام. وتعد الإشارة إلى أن ابن منظور ذكر في مقدمة لسان العرب مراتب الحروف في الدوران دون عزو (اللسان، ١/١٤)، فبدا كأنه صاحب الترتيب، لكن التحقيق أثبت أنه ترتيب ابن عدلان (ت ٦٦٦).

وقد اعتمد على حلمي موسى في كتابه "إحصائيات جنور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر" كتاب ابن منظور السابق، ونقل منه حديثه عن حروف الذلاقة، ووقع في الخطأ الطبيعي الوارد في اللسان، إذ جاء في اللسان (١٤/١) أن هذه الحروف هي (د - ب - م - ن - ل - ف). وواضح أن الحرف الأول ليس الدال إنما هو الراء. انظر: كتاب علي حلمي موسى السابق، ص ٨.

(٢٠١) انظر: بصائر ذوي التمييز، ١/٥٦٣ - ٥٦٦.

القسم الأول

والقاف والدال والفاء والسين. ويتبين من هذه النتيجة العلمية الدقيقة أن حروف الذلقة التي اعدها الخليل، وهي (اللام والنون والراء والفاء والباء والميم) جاءت أولاً ماعدا الفاء. على حين أن حرف الطلاقة (العين والقاف) وردا ثانياً، ثم جاء حرف التوسط والاعتدال (الدال والسين) ثالثاً.

وأما من حيث تشكل هذه الحروف في الأبنية، فقد أظهرت الدراسات الحاسوبية أن أكثر الحروف ترددًا في الرباعي والخمساني هي حروف الذلقة، إضافة إلى شيوعها في الثاني والثلاثي، مما يؤكد فكرة كثرتها في الكلام عامه^(٢٠١).

وهكذا يتضح مدى التوفيق الذي أحرزه الخليل في استنباط قوانين صوتية تشيكيلية ثبت بما لا يدع مجالاً للشك صوابها اعتماداً على الأجهزة الحديثة، فضلاً عن التأيد الذي أحرزته لدى القدامى ولا سيما الذين جلوا إلى الإحصاء للوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

ونشر الخليل في تصارييف إملائه على الليث آراء متفرقة حول بجاورة الحرف للحرف بالتقديم والتأخير، ومصاحبة الحرف للحرف في كلمة واحدة، من ذلك إشارته إلى عدم وجود كلمة عربية صدرها (نر) أي نون تليها راء^(٢٠٢). وعدم وجود أصل فيه (ضك)، أي ضاد تليها كاف من دون فصل بين الحرفين^(٢٠٣). وعدم جواز اتصال

(٢٠٢) انظر: علي حلمي موسى، إحصائيات حنور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر، ص ٣٧، ٤٩، ٦٥، ٨٢، ٨٥ (المائة)، ٩٥ (مقارنة بين اللسان والصحاح). وانظر لموسى: دراسة إحصائية لحنور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص ٥٩، ٧٥، ٩٣، ١٠٩، ١١١ (المائة)، وانظر: موسى وعبد الصبور شاهين، دراسة إحصائية لحنور معجم ناج العروس باستخدام الكمبيوتر، ص ٣٩ - ٤٨، ٧٩، ٩٧، ١١٥، ٩٣، ١٢٨، وانظر دراسة لهذه الإحصاءات في: محمد صالح بن عمر "دراسة إحصائية بالحاسب الإلكتروني للحنور الواردة في الصحاح وللسان والناتج، مجلة المعجمية، تونس، العدد الأول لعام ١٩٨٥، ص ١٢٨.

(٢٠٣) انظر: العين، ٥٣/١.

(٢٠٤) انظر: العين، ٥٦/١.

العين مع الغين والهاء والخاء لقرب مخارجها، ولذلك أهملت^(٢٠٥). وقد تابع ابن جيبي هذا النحو من قواعد تشكيل الحروف وفصله في كتابه "سر صناعة الإعراب"^(٢٠٦)، كما نقل غيره من اللغويين كلمات للخليل من هذا القبيل فنسبت إليهم، وهي مثبتة في كتبهم^(٢٠٧). وجمع الجواليقى من هذه الملاحظات ماجعله معياراً للفصل بين العربي والأعجمي^(٢٠٨). والفكرة ليست له، لأن الخليل سبق إلى جعل ائتلاف الحروف معياراً لمعرفة صحة بناء كلام العرب من الدخيل^(٢٠٩).

ونشير استكمالاً لآراء الخليل في التشكيل إلى فكرة تأليف الحروف بحسب المخارج، وإن لم ترد في مقدمة كتاب العين. وأقدم من عرض هذه الفكرة -وفقاً مالديّ من مصادر- هو ابن دريد في مقدمته للجمهرة. لكن ابن دريد -كما هو دأبه في نقل معظم ماجاء في كتاب العين- لا ينسب الفكرة إلى الخليل. يقول ابن دريد: "واعلم أن الحروف إذا تقارب مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت..."^(٢١٠) "واعلم أن أحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف

(٢٠٥) انظر: العين، ٥٥/١، ٦١.

(٢٠٦) انظر: سر الصناعة، ٨١١/٢ - ٨٢٠.

(٢٠٧) من أمثلة ذلك ماجاء في مقدمة الجمهرة لابن دريد، ٤٦/١ - ٤٧ و مقدمة التهذيب للأزهرى، ٤٦/١، ومقدمة اللسان لابن منظور، ١٤/١. أما ماورد في تصاعيف المواضيغة مما لا يأتلف منسوباً إلى الخليل أو تلميذه الليث فكثير يحتاج إلى تتبع. انظر أمثلة من ذلك لدى عبدالرحيم في تقديميه لكتاب المعرف للجواليقى، ص ٢٢ - ٢٤. وقد طور علماء التعمية واستخراج المعنى هذه المسألة وبينوا بالإحصاء مالا يقارن بعضه ببعض من الحروف. انظر نتائج الكندى، ص ١٣٦، ٢٠٨، ٢٣٨ - ٢٥٤، ونتائج ابن الدريسم، ص ١٩١، ٣٤١ - ٣٤٩. (ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب).

(٢٠٨) انظر: الجواليقى، المعرف، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢٠٩) انظر: العين، ٤/١ وقد وصف الخليل ماخرج على كلام العرب بالحدث والمبتدع والمولد إضافة إلى "الدخيل". انظر: العين، ٥٢/١.

(٢١٠) الجمهرة، ٤٦/١.

المبتاعدة”^(٢١١). كذلك عرض ابن حني لهذه الفكرة دون عزو^(٢١٢). لكن الرمانى (ت ٢٨٦هـ) عرض حين الحديث عن ”التلاؤم“ لتأليف الحروف، ونقل عن الخليل أن سبب التنافر هو البعد الشديد أو القرب الشديد. ”وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان منزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان منزلة مشي المقيد، لأنه منزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة في ذلك في الاعتدال..“^(٢١٣) ثم صار هذا الكلام مادة للمناقشة لدى ابن سنان الخفاجي وعبدالقاهر الجرجاني وابن الأثير وبهاء الدين السبكي والسيوطى^(٢١٤).

ولستنا بصدّ عرض مفصل لهذه الفكرة وما دار حولها من نقاش لخروجها عن شرط هذا البحث، إنما نكتفي بالإشارة إلى أنَّ السبكي (ت ٧٧٣هـ) توصل في كتابه ”عروس الأفراح“ إلى رتب للتأليف المخرجى للبناء الثلاثي على نحو قريب من النتائج الحديثة التي توصل إليها الباحثون باستخدام الحاسوب^(٢١٥).

وهكذا يتضح من خلال ما تقدم أنَّ ما في مقدمة كتاب العين ليس دراسة شاملة أو خاصة بالأصوات لذاتها، بل هي مسوقة لغاية معجمية حدَّدت ما ينبغي التعرُّض له دون غيره. وأنَّ معظم ماورد جاء لإيضاح الأبنية وخصائص تركيبها من الوجهة الصوتية التشكيلية. وأنَّ الأدلة متضادرة في الدلالة على أنَّ ما في هذه المقدمة من معلومات لغوية متعددة إنما هو من ابتكار الخليل وحده ابتداءً، وليس للبيث فيه إلا التلقى والتقليل وإيمام العمل على هدى الخليل وبعلمه الواسع.

(٢١١) الجمهورية، ٤٩/١.

(٢١٢) سر الصناعة، ١/٦٥ - ٦٧، و ٢/٨١٢ - ٨٢٠.

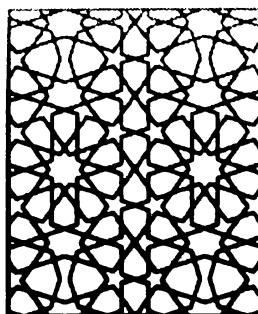
(٢١٣) الرمانى، رسالة النكث في إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، ص ٩٦.

(٢١٤) انظر: مبادئ اللسانيات، ص ١٢٣ - ١٢٨.

(٢١٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

ويتأكد من خلال هذه القراءة ماكنا أشرنا إليه في البداية من جوانب الأصالة في عمل الخليل الذي وضعه بين يدي تلميذه الليث خاصة، وغيره من سائر تلاميذه عامة، وهي التي تمثلت حقيقةً في انطلاقه من المعطيات الصوتية العربية المتنوعة كالقراءات القرآنية والظواهر اللهجية وخصائص الكلام العربي. وفي استناده إلى معارف العرب اللغوية في خلق الإنسان لابتناء جهازه الاصطلاحي الذي يخلو خلواً تاماً من أي مصطلح دخيل^(٢١٦). وأنَّ آراؤه في خصائص التشكيل الصوتي ولا سيما ما يتصل بالذلة والإصمات وصلت بفضل الوسائل الحديثة إلى مرتبة الحقائق العلمية الثابتة، وهي من أعظم ما يفخر به درسنا اللغوي على مرّ العصور. كما يتتأكد بعد كل ما عرضنا له مبلغ الابتكار الذي امتاز به عمل الخليل مما لا يسمع بأيّ ظن أو افتراض حول اقتباس الخليل من أعمال الأمم السابقة. فالحق أنَّ ما في مقدمة العين وحدها من معطيات لغوية متنوعة يكفي لأنْ يقطع الدارس بأصالة علم الأصوات عند العرب على الرغم من قلة الوسائل وحداثة الدرس عصريًّا.

(٢١٦) انظر: المصدر السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣.



ملاحق

المطالعات الصوتية

وتحاليفها

المطالبات الصورية وتحليلها^(١)

(١) من مقدمة كتاب العين بحقائق المغزومي والسامري، وتشتمل الأرثام إلى الجزء الأول من الكتاب.

ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها

ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها

٧١

المصطلحات	مقدمة	أصلها	بساطة	موكبة	الاسم	ال فعل	الصلة	النسبة	اسم المكان	اسم المفعول	اسم المفعولة	ال فعل	الصلة	النسبة	اسم المكان	اسم المفعول	ال فعل	المصطلحات
ملاحظات																		
بيان المحكى	٥٥	بيان المحكى	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	عربي	تركيب إضافي	تركيب إضافي	تركيب إضافي
تأليف "الحرف"	٤٨	تأليف "الحرف"	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تأليف الحروف	تأليف الحروف	تأليف الحروف	تأليف الحروف
تأليف العرب	٤٩	تأليف العرب	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تأليف العرب	تأليف العرب	تأليف العرب	تأليف العرب
تقليد "اللام"	٥٠	تقليد "اللام"	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تركيب إسنادي	تركيب إسنادي	تركيب إسنادي	تركيب إسنادي
تجدد طرق ذوق اللسان	٥١	تجدد طرق ذوق اللسان	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تركيب إضافي	تركيب إضافي	تركيب إضافي	تركيب إضافي
ترجم	٥٢	ترجم	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تثنية المترافقين	تثنية المترافقين	تثنية المترافقين	تثنية المترافقين
التضاغع	٥٣	التضاغع	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	تعدد اللام	تعدد اللام	تعدد اللام	تعدد اللام
التعزف	٥٤	التعزف	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	التعرّف	التعرّف	التعرّف	التعرّف
ماضي مبني للسجول	٥٥	ماضي مبني للسجول	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	التعل	التعل	التعل	التعل

ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها

المصطلحات	مقدمة	مقدمة	العمل	العمل	المصطلحات
المطلعات	رسالة	رسالة	الاسم	الاسم	الكلمات
حُسْنَتْ "العين والقاف"	-	-	تركيب إسنادي	-	باسم مني للعلم
٢٥	حُسْنَ ابْرَاجُ الْحُرْفِ ٧٥	-	تركيب إسنادي	-	باسم مني للعلم
عربي	-	-	تركيب إضافي	x	-
	حُسْنَ الْبَنَاءِ ٥٣	-	-	-	-
	حُسْنَ الْمَرْكَةِ ٥٥	-	-	-	-
	حُسْنَ "الدَّالِ" ٤٤	-	-	-	-
	حُسْنَتْ الْمَكَابِيَةِ ٤٤	-	-	-	-
	حُسْنَةِ مُلْهَى ٤٤	-	-	-	-
	الحِكَايَةُ الْمُصَاغَعَةُ ٦١٦٥٤	-	-	-	-
	الْمَلْكِيَّةُ ٨٠٩٢٠٤٧	-	-	-	-
	طَلْبَةُ ٥٨	-	-	-	-
	شَرِيكُ ٧٧	-	-	-	-
	شَرِيكُ وَاحِدٌ ٦٥	-	-	-	-
جُنْدُهَا "اللام" ٦٥	x	x	x	x	x
بِاسْمِيْ بِيْلِلْعُلُومِ	x	x	x	x	x

ملحق: المصطلحات الصوتية و تحليلها

ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها

ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها

٧٧

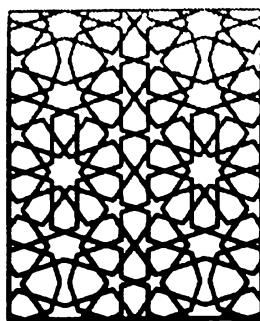
المصطلحات	مقدمة	رسالة	صيغتها	موتها	ملاحظات
العمل	الاسم	الاسم	الاسم	الاسم	العمل
الفضيل	المكان	المفعول	المفعول	المفعول	المفعول
العار الأعلى ٥٥	عربي	-	-	-	في المرأة "المقرفة". ٨٠
في المرأة "أني أنها في شبه جملة	-	-	-	-	في المرأة "أني أنها في شبه جملة
المرأة ٧٥	-	-	-	-	في المرأة "مارية" ٧٥
قدر عمر جها من الملقفه ٤٤	-	-	-	-	قدر عمر جها من الملقفه ٤٤
طلب الحروف ٨٤	-	-	-	-	طلب الحروف ٨٤
تركيب إضافى	-	-	-	-	تركيب إضافى
تركيب إسنادى	-	-	-	-	تركيب إسنادى
تركيب إضاف	-	-	-	-	تركيب إضاف
قوية الـ ٧٧	-	-	-	-	قوية الـ ٧٧
كرازتها (الطاء) ٤٥	-	-	-	-	كرازتها (الطاء) ٤٥
الكسرة ١٥	-	-	-	-	الكسرة ١٥
لا ينبع منها ٤٤	-	-	-	-	لا ينبع منها ٤٤
لأنـت "المقرفة" ٦٥	-	-	-	-	لأنـت "المقرفة" ٦٥
ماضـ منـ للـ مـلـ	-	-	-	-	ماضـ منـ للـ مـلـ

لـانت "الـدـالـ" ٣٢

ملحق: المصطلحات الصوتية و تحليلها

المصطلحات	مسيحيتها							هيئتها	رسالة	المعنى
	الاسم	المعنى	الاسم	المعنى	الاسم	المعنى	الاسم			
لا ينطلي على السنان	-	-	-	-	-	-	-	معنار ع معلوٰ	العمل	اسم المعلم
الله ٨٥	-	-	-	-	-	-	-	x	العمل	الاسم
لتربيٰ ٩٠	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
لقطفهم ٥٣	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
السان ٢٠٤٩٥٠	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
لتربيٰ ٨٥٢	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
لم يصرخون ٥٣	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
تركيب إنساني	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
تركيب إضافي	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
سبا المرف أو المرف	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
لتهاي اليماء ٤٠	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
لمربيٰ ٨٥	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
الفعل ٦٥	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
خرج المزكي ٤٠	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
خرج العبد ٤٠	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
خرج الكلام	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى
خرج بجهة ١٥	-	-	-	-	-	-	-	x	المعنى	المعنى

ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها



القسم الثاني

النصول

مقدمة كتاب العين في أرجمن نصوصها بتحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين*.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بحمد الله نبتدى ونستهدي، وعليه نتوكل، وهو حسينا ونعم الوكيل.

هذا مألفه الخليل بن أحمد البصري - رحمة الله عليه - من حروف أ، ب، ت، ث، مع تكملت به؛ فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، ولا يخرج منها عنه شيء، أراد أن تُعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها وألا يشذ عنده شيء من ذلك. فأعمل فكره فيه؛ فلم يمكنه أن يتبدئ بالتأليف من أول أ، ب، ت، ث، وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يتبدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبّر، ونظر إلى الحروف كلها، وذاقها؛ فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولاهما بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق.

وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف؛ نحو: أب، أت، أث، أح، أع، أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ماقرب منها، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم.

*أشكر الأخرين الدكتور حاتم الصمامي والدكتور عبد الإله النبهان اللذين تفضلوا بإرسال صورة عن هذه المطبوعة.

فإذا سُئلت عن الكلمة وأردت أن تعرف موضعها؛ فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب.

وقلب الخليل أ؛ ب؛ ت؛ ث، فوضعها على قدر مخرجها من الحلق، وهذا تأليفه: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة.

قال أبو معاذ عبد الله بن عائد: حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب.

قال ليث: قال الخليل: كلام العرب مبنيٌ على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرابعى والخامسى.

فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر.

والثلاثى:

من الأفعال نحو قولك: ضرب، خرج، دخل، مبني على ثلاثة أحرف.

ومن الأسماء نحو عمر، وجمل، وشجر، مبني على ثلاثة أحرف

والرابعى:

من الأفعال نحو: دحرج، هملج، قرطس، مبني على أربعة أحرف.

ومن الأسماء نحو: عقر، وعقرب، وجندب، وشبهه.

والخامسى:

من الأفعال نحو اسحقكل، واقشعر، واسحنفر، واسبكر، مبني على خمسة أحرف.

ومن الأسماء نحو: سفرجل، وهمرجل، وشمرون، وكنهيل، وقرعلى، وعقلن، وقعنقل، وقعيتر وشبهه.

والألف التي في اسحنكل واقشعرّ واسحنفر واسبكّر ليست من أصل البناء، وإنما
أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام؛ لتكون عماداً وسلماً للسان إلى الحرف
الساكن؛ لأن حرف اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف، فيحتاج إلى ألف الوصل، إلا
أن دحرج وهرملج وقرطس لم يحتاج فيهن إلى ألف لتكون السلم، ففهم إن شاء الله.
واعلم أن الراء في اقشعرّ واسبكّر هما راءان أدغمت واحدة في الآخرى، والتشديد
علامة الإدغام.

قال الخليل: وليس للعرب بناءً في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعلٍ واسمٍ فاعلم أنها زائدةٌ على البناء وليس من أصل الكلمة مثل قرعيلانة؛ إنما أصل بنائها: قَرَعْلِ، ومثل عنكبوت؛ إنما أصل بنائتها: عنك.

وقال الخليل: الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يبدأ به؛ وحرف يمحى به الكلمة؛ وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف، مثل سعد وعمر ونحوهما من الأسماء؛ بدئ بالعين وحشيت الكلمة باليمين ووقف على الراء. فأما زيد وكيد فالإيات متعلقة لا يعتمد بها.

فإن صَيْرَتَ الشَّانِي - مثل: قد وَهَلْ وَلَوْ - اسْمَاً أَدْخَلْتَ عَلَيْهِ التَّشْدِيدَ فَقُلْتَ: هَذِهِ لَوْ مَكْتُوبَةٌ، وَهَذِهِ قَدْ حَسَنَةُ الْكِتَبَةِ، زَدْتَ وَأَوْاً عَلَى وَأَوْ وَدَالًا عَلَى دَالٍ؛ ثُمَّ أَدْغَمْتَ وَشَدَّدْتَ. فَالتَّشْدِيدُ عَلَمَةُ الْإِدْغَامِ وَالْحُرْفِ الثَّالِثِ، كَفَوْلُ أَبِي زَيْدِ الطَّائِيِّ:

(١) شعر أبي زيد الطائي: ٢٤، ويراجع في الديوان مراجع التحرير.

قال ليث: قلت لأبي الدقيش: هل لك في زيدٍ ورطبٍ؟ فقال: أشدُّ الْهَلُّ وأوحاه.
فشدَّ اللام حين جعله اسمًا.

قال: وقد تجيء أسماء لفظها على حرفين و تمامها ومعناها على ثلاثة أحرف؛ مثل:
يد ودم وفم. وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن؛ وخلفتها السكون مثل ياء
يديٍ وباء دميٍ في آخر الكلمة، فلما جاء التنوين ساكنًا اجتمع ساكنان، فثبت التنوين
لأنه إعرابٌ؛ وذهب الحرف الساكن، فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير
كقوفهم: “أيديهم” في الجمع و “يدية” في التصغير، ويوجد أيضًا في الفعل كقوفهم:
دميت يده. فإذا ثنيت الفم قلت ”فموان“؛ كانت تلك الظاهرة من الفم الواو.

قال الخليل: بل الفم أصله فوَّةٌ كما ترى، والجمع أفواهٌ، والفعل فاه يفوه فوهًا: إذا
فتح فاه للكلام.

قال أبو أحمد حمزة بن زرعة: قوله ”يد“ دخلها التنوين وذكر أن التنوين إعرابٌ،
قلت: بل الإعراب الضمة والكسرة التي تلزم الدال من ”يد“ في وجوهه، والتنوين يميز
بين الاسم والفعل، ألا ترى أنك تقول: ”تفعل“ لم تجد التنوين يدخلها، وألا ترى أنك
تقول: رأيت يدك وهذه يدك وعجبت من يديك؛ فتعرب الدال وتطرح التنوين، ولو
كان التنوين هو الإعراب لم يسقط. وأما قوله: ”فموان“ أنه جعل الواو بدلاً من
الظاهرة، فإن الظاهرة هي هاءٌ وواوٌ؛ وهما إلى جنب الفاء، ودخلت الميم عوضاً
منهما، والواو التي في ”فموين“ دخلت بالغلط، وذلك أن الشاعر يرى ميماً قد أدخلت
في الكلمة فيرى أن الساقط من الفم هو بعد الميم فيدخل الواو مكان ما يظن أنه سقط
منه؛ ويغلط.

قال الخليل: أعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م.
وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان

والشفتين؛ وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقة: ر ل ن تخرج من ذلك اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م مخرجها من بين الشفتين خاصةً، لاتعمل الشفتان في شيءٍ من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون. وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنایا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين؛ بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان؛ ليس للسان فيه عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان أخraf الراء واللام والنون. وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. وأما مخرج العين والخاء والهاء والخاء والغين فالحلق. وأما المهمزة فمخرجها من أقصى الحلق؛ مهتوة مضغوطة؛ فإذا رفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف؛ عن غير طريقة الحروف الصحاح.

فلما ذلت الحروف الستة ومذلت بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيءٌ من أبناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها.

قال الخليل: فإن وردت عليك كلمةٌ رباعيةٌ أو خماسيةٌ مُعَرَّأةً من حروف الذلقة والشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرفٌ واحدٌ أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثةٌ مبتدعةٌ ليست من كلام العرب، لأنك لست واحداً من يسمع من كلام العرب كلمةٌ رباعيةٌ أو خماسيةٌ إلا وفيها من حروف الذلقة والشفوية واحدٌ أو اثنان أو أكثر.

قال ليث:

قلت: فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيءٍ من هذه الحروف؟
فقال: نحو الكشتعج والخضتعج والكشعطعج وأشباههن، مُولَّدات لا تخوز في كلام العرب، لأنه ليس فيهن من حروف الذلقة والشفوية؛ فلا تقبلنَّ منها شيئاً، وإن أشبه

لفظهم وتأليفهم، فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ماليش من كلام العرب إرادة اللبس والتعنت^(٢).

* * *

وأما البناء الرباعي المنبسط فإن الجمهر الأعظم منه لا يعرى من الحروف الذلق أو من بعضها، إلا كلماتٍ نحوً من عشرِ جتن شوادٌ، وفي هذه الكلمات: العسجد والعسطوس والقداحس والدعشوة والدهدة والزهقة، وهي مفسرة في أمكتتها.

قال أبو أحمد حمزة بن زرعة هنَّ كما قال الشاعر:

ودعشوقة فيها نرمج وهنم
تعسفتها ليلاً وتحني جلامق^(٣)

وليس في كلام العرب دعشوقة ولا جلامق ولا كلمة صدرها "نر"، وليس في شيء من الألسن طاء^(٤) غير العربية، ولا من لسان إلا التنور فيه تنور.

وهذه الأحرف قد عرين من الحروف الذلق ولذلك نزرن فقللن، ولو لا مالزمهن من العين والقاف ما حسُنَ على حال، ولكن العين والقاف لاتتدخلان في بناء إلا حستاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما. فإن كان البناء اسمًا لزمه السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزارتها وارتقت عن خفوت التاء؛ فحسست. وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك.

فمهما جاء من بناء اسمٍ رباعيٍ منبسطٍ معهـىٍ من الحروف الذلق والشفوية فإنه

(٢) مجلة البلاغ، العدد التاسع، السنة السادسة ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ص ٦٨ - ٧٦.

(٣) انظر رواية أخرى في طبعة المخزومي والسamarاني لكتاب العين، ١/٥٣.

(٤) في طبعة المخزومي والسamarاني (طاء) وهو أقرب إلى الصواب فيما يبدوا.

لا يعرى من أحد حرف الطلاقة أو كليهما؛ ومن السين والدال أو إحداهما، ولا يضر مخالفته من سائر الحروف الصتم. فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانتظر ماهو من تأليف العرب ومالبس من تأليفهم، نحو: فسح وقشع ودعش لابن سب إلى عربية، ولو جاء عن ثقة لم ينكر. ولم يسمع به ولكن **الفناه** ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل.

وأما ما كان من رباعي منبسط معروي من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو دهادق وزهراق وأشباه ذلك فإن الهاء لازمة له فصلاً بين حرفيه المشابهين مع لزوم العين والقاف، وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب من الحكاية للينها وهشاشتها، وإنما هي نفس لا اعتراض فيها.

وإن كانت الحكاية المؤلفة غير معروفة من الحروف الذلق فلن يضرْ كانت فيها الهاء أم لا؛ نحو الغطمسة وأشباهها، ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف صدرها موافقاً لحرف صدر ماضيّ إليها في عجزها، كأنهم ضموا "دهـ" إلى "دق" فألفوهما، ولو لا ماجاء فيهما من تشابه الحرفين ما حسنت الحكاية بهما، لأن الحكايات الرباعيات لا تخلو من أن تكون مؤلفة أو مضاعفة.

فأما المؤلفة فعلى ما وصفت لك، وهو نذر قليل، ولو كان "العهونغ" من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب؛ وإن كانت المخاء بعد العين، لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها؛ لما يريدون من بيان الحكى. ولكن لما كان "العهونغ" فيما ذكر بعضهم اسمًا خاصاً ولم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم؛ رُدَّ فلم يقبل.

وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبههما يتوهمن في حسن الحركة ما يتوهمن في حرس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف.

والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها: ما كان حرفًا عجزه مثل حرف صدره، وذلك بناء يستحسنه العربي، فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ماجاء من الصحيح

والمعتل ومن الذلق والطلق والصتم، وينسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه، ألا ترى في الحكاية أن الحاكي يمحكي صلصلة اللجام؛ فيقول: صلصل اللجام، وإن شاء قال “صل” ينخفف مرةً اكتفاءً بها، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول صل صل صل، يتتكلف من ذلك مابدا له.

ويجوز في حكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف، ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل: “ضل” كان تأليفاً لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولاً بين حرفه بحرف لازم أو أكثر من ذلك نحو الضنك والضحك وأشباه ذلك. وهو جائزٌ في المضاعف نحو “الضكضاكة من النساء”. فالمضاعف جائزٌ فيه كل غثٌ وسمين من المفصل والأعجاز والصدور وغير ذلك. والعرب تشتق في كثيرٍ من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحري التضعيف ومن الثلاثي المعتل.

ألا ترى أنهم يقولون: صلٌ اللجام يصلٌ صليلاً، فلو حكيت ذلك قلت: “صلٌ” مدد اللام وتنقلها، وقد خففتها في الصلصلة وهذا جميعاً صوت اللجام، فالنقل مدد والتضاعف ترجيعٌ يخفف فلا يمكن لأنه على حرفين فلا يقدر للتصريف حتى يضاعف أو يثقل، فيجيء كثيرون منه متفقاً على ما وصفت لك ويجيء منه كثيرون مختلفاً نحو قوله: صرَ الجندب صريراً وصرصر الأخطب صرصرةً، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مداً وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً. ونحو ذلك كثيرون مختلفون.

وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل فنحو قول العجاج:

ولو أخنا جمعهم تنحنعوا

وقال في بيت آخر:

لفح لنا إنْ سرَه التنَّرُخُ

ولو شاء قال في البيت الأول: ”ولو أخنا جعهم تنوخوا“، ولكنه اشتقت ”التنوخ“ من ”توَّخناها فتوَّخت“، واحتسب ”التنوخ“ من ”أَنْخَا“؛ لأن ”أَنْاخ“ لما جاء مخففاً حسن إخراج الحرف المعتل منه وتضاعفُ الحرفين الباقيين تقول: نخخنا فتنوخ، ولما أتقل ”توَّخنا“ قويت الواو فثبتت في ”التنوخ“، فافهم.

قال ليث:

قال الخليل: العربية تسعه وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون صحاحاً لها أحجامٌ ومدارجٌ وأربعة أحروف جوف يقال: الواو أجوف ومثله الياء والألف اللينة والهمزة. سببت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولا مدارج اللسان ولا مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء؛ فلم يكن لها حيزٌ تنسُب إليها إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء.

قال الخليل:

فأقصى الحروف كلها العين، ثم الحاء؛ ولو بحث في الحاء لأشبّهت العين؛ لقرب مخرجها من مخرج العين، ثم الهاء، ولو لا هته في الهاء - وقال مرة: هته^(٥) - لأشبّهت الحاء؛ لقرب مخرج الهاء من مخرج الحاء. فهذه ثلاثة أحروف في حيز واحد، بعضها أرفع من بعض. ثم الحاء والعين في حيز واحد. حلقيّة كلّهن.

ثم القاف والكاف لهويتان، الكاف أرفع.

ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد.

ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد.

ثم الطاء والدال والباء في حيز واحد.

^(٥) في طبعة المخزومي والسamarائي: ”مهة“ وهو الأنسب لعدم تكرير هته كما أثبته آل ياسين: انظر العين ١٥٧.

ثم الضاء والذال والثاء - بعضها أرفع من بعض - في حيز واحد.

ثم الراء واللام والنون في حيز واحد.

ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد.

والواو والألف والياء والهمزة في الهواء؛ لم يكن لها حيز تنسب إليه.

قال ليث: قال الخليل: فالعين والراء والباء والخاء والغين حلقة، لأن مبدأها من الحلق. والكاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة. والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم. والصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان. والطاء والباء والذال نطبعية، لأن مبدأها من نطبع الغار الأعلى. والظاء والذال والباء لثوية، لأن مبدأها من اللثة. والراء واللام والنون ذوقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفيه كذلك السنان. والفاء والباء والميم شفوية - وقال مرة: شفهية -، لأن مبدأها من الشفة. والباء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد؛ لأنها هوائية في الهواء لا يتعلق بها شيء. نسب كل حرف إلى مدرجهة وموضعه الذي يبدأ منه.

وكان الخليل يسمى الميم مطبقة؛ لأنها تطبق الفم إذا لفظ بها.

فهذه صورة الحروف التي ألفت منها العربية على الولاء - وهي تسعون حرفًا: ع ح ه خ غ ق ك ح ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م - وهذه الحروف الصراح - وي ا همزة.

فهذه تسعون حرفًا؛ منها بنية^(٦) كلام العرب.

قال ليث:

(٦) في طبعة المحرزمي والسماوي: "أنبية" وهو الأصوب فيما يبدو. انظر: العين، ١/٥٨.

قال الخليل: اعلم أن الكلمة الثانية المضاعفة تتصرف على وجهين؛ نحو: قد؛ دق؛ شد؛ دش. والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه تسمى مسدوسة، وهي نحو: ضرب؛ رضب؛ ربض؛ ضير؛ بضر؛ برض. والكلمة الرابعة تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا، وذلك أن حروفها - وهي أربعة أحرف - ضربت في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فصارت أربعة وعشرين وجهًا، يكتب مستعملها ويلغى مهمتها، وذلك نحو "عقبر" تقول منه: عقر، عرق، عقرب، عرقب، عربق، قعرب، قعر، قبرع، قربع، رعقب، رقع، رقعي، ربع، ربعي، بعرق، بقعر، بقريع، برقع. والكلمة الخامسة تتصرف على مائة وعشرين وجهًا، وذلك أن حروفها - وهي خمسة أحرف - ضربت في وجوه الرباعي - وهي أربعة وعشرون حرفاً - فصارت مائة وعشرين وجهًا يستعمل ألفه ويلغى أكثره، وهي نحو: سفرجل، سفرجل، سفحرل، سفحرل، سحرل، سرفحل، سرفحل، سرجفل، سجفل، سفدرج، سدرج، سلدرج، سلدرج، سرفلنج، سرفلنج، سرفلنج، سرفلنج، سرفلنج، سرفلنج، سرفلنج.

وتفسير الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف لا يكون فيها واوً ولا ياءً ولا ألفَ لينةً ولا همزةً في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العيل، وكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثي صحيح مثل: ضرب، خرج، دخل. والثلاثي المعتل مثل ضري؛ وضراء؛ وضراء؛ وخلا؛ وخلبي؛ وخلو؛ لأنه جاء مع الحرفين ألفً أو واوً أو ياءً، فافهم.

قال الخليل:

القسم الثاني

بدأنا في المولفات من العين، وهو أقصى المروف، ونضم إليه ما بعده حتى يستوعب منه كلام العرب الواضح والغريب. وبدأنا من الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذًا للمفهوم^(٧).

* * *

(٧) مجلة البلاغ، السنة السادسة، العدد العاشر، ص ٤٦ - ٥٨.

نحو من مقدمة كتاب العين أوردها الأزهري في تحذيب اللغة.

ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المحمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقيه إياه عن فيه. وعلمت أنه لا يتقديم أحدُ الخليل فيما أتسسه ورسمه. فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردد فكرك فيه، وتستفيد منه ما يملك الحاجة إليه. ثم أتبعه بما قاله بعض النحويين مما يزيد في بيانه وإيضاحه.

قال الليث بن المظفر: لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء في كتاب العين أعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يتداري من أول أب ت ث لأن الألف حرف معتل فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثاني أولاً وهو الباء إلا بمحنة، وبعد استقصاء. فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أولاً ما بالابتداء به أدخلها في الحلق، وكان ذوقه إياها أنه كان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف، نحو أت، أح، أع. فوجد العين أقصاها في الحلق وأدخلها. فجعل أول الكتاب العين، ثم ما قرب مخرجها منها بعد العين الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخر الحروف. فإذا سُئلت عن الكلمة فأردت أن تعرف موضعها من الكتاب فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المتقدم فهو في ذلك الكتاب.

قال: وقلب الخليل اب ت ث فوضعها على قدر مخرجها من الخلق. وهذا تأليفه: ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي.

قال الخليل بن أحمد: كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي، والثلاثي، والرباعي والخمسي.

فاما الثنائي فما كان على حرفين، نحو قد، لم، بل، هل، ومثلها من الأدوات.

قال: والثلاثي نحو قولك ضرب، خرج، مبني على ثلاثة أحرف.

والرابعى نحو قولك: دحرج، هملج، قرطس، مبني على أربعة أحرف.

قال: والخمسى نحو قولك: اسحننك، اقشعر، اسحتفر، مبني على خمسة أحرف.

قال: والألف في اسحننك واسحتفر ليست بأصلية إنما أدخلت لتكون عماداً وسلماً للسان إلى الساكن؛ لأن اللسان لا ينطلق بالساكن. والراء التي في اقشعر راءان أدمغت واحدة في الأخرى، فالتشديدة علامة الإدغام.

قال: والخمسى من الأسماء نحو: سفرجل، وشمردل، وكتنهبل، وقبعثر، وما أشبهها.

قال وقال الخليل: ليس للعرب بناء في الأسماء وفي الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء، نحو قرعبلانة، إنما هو قرعبل، ومثل عنكبوت، إنما هو أصله عنكب.

قال: والاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يتدا به، وحرف يخشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه. فهذه ثلاثة أحرف، مثل سعد، وبدر، ونحوهما. فإن صيّرت الحرف الثنائي مثل قد وهل ولو أسماء أدخلت عليه التشدید فقلت: هذه لو مكتوبة، هذه قد حسنة الكتبة. وأنشد:

ليتَ شِعْرِي وَأَنِّي مِنْ لِيْتُ
إِنْ لِيْتَ أَوْلَئِنْ لِيْتُ

فشدّد لَوْاً حين جعله اسمًا. قال: وقد جاءت أسماء لفظها على حرفين، ونماها على ثلاثة أحرف، مثل يد ودم وفم، وإنما ذهب الثالث لعلة أنها جاءت سواكن وخلقتها السكون، مثل ياء يديٍ وباء دميٍ في آخر الكلمة، فلما جاء التنوين ساكنًا لم يجتمع ساكنان فثبت التنوين لأنَّه إعراب، وذهب الحرف الساكن. فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير، كقولك: أيديهم، ويدِيَّة.

قال: وتوجد أيضًا في الفعل، كقولك: دميت يده. ويقال في تثنية الفم فموان. وهذا يدل على أنَّ الذاهب من الفم الواو.

وقال الخليل: الفم أصله فوه كما ترى، والجمع أفواه. وقد فاه الرجل، إذا فتح فاه بالكلام.

قلت: وقد بينت في كتاب الهاء ما قاله النحويون فيه.

باب ألقاب الحروف ومدارجها

قال الخليل بن أحمد: اعلم أنَّ الحروف الذَّلَقُ والشَّفُوْيَةُ ستة: ر، ل، ن، ف، ب، م. فالراء واللام والنون سميت ذلقة لأنَّ الذلقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان. وسميت الفاء والباء والميم شفووية لأنَّ مخرجها بين الشفتين، لاتعمل الشفتان في شيء من الحروف إلا في هذه الثلاثة الأحرف. فأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنایا من عند مخرج الثاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان. وليس للسان فيهن أكثر من تحريك الطبقتين بهن. ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون.

فأما مخرج الجيم والكاف وكاف] فيبين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. وأما مخرج العين والباء والباء و[الخاء] والغين فمن الحلق.

وأما مخرج الممزة فمن أقصى الحلق. وهي مهتوة^(٨) مضغوطه، فإذا رُفِّه عنها لانت. وصارت الياء والألف والواو على غير طريق الحروف الصحاح.

ولما ذلت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت في المنطق، كثرت في أبنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها. فإن ورد عليك حماسي معَرَّى من الحروف الذلق والشفوية فاعلم أنه مولد وليس من صحيح كلام العرب؛ نحو الخضعج والكشطعج وأشباه ذلك، وإن أشبه لفظهم وتتأليفهم فلا تقبلنَ منه شيئاً؛ فإن التحارير ربما أدخلوا على الناس مالييس من كلام العرب إرادة التلبيس والتعمُّت.

وأما بناء الرباعي المنبسط فإنَّ الجمهر الأكثُر منه لا يعرى من بعض الحروف الذلق إلا كلمات نحوَ من عشر، جهن شواد، فسرناهن في أمكتتها، وهي: العسجد، والعسطوس، والقداحس، والدعشوة، والدهدعة، والدهدقة، والزهقة.

قال: وأما الغطمسطيط وجنبيلق وحبقطقق فإنَّ هذه الحروف وما شاكلها ما يعرف الثنائي وغيره من الثلاثي والرباعي والخماسي فإنها في مواضعها بينة. والأحرف التي سميناها عرين من الحروف الذلق، ولذلك نزرن فقللن ولو لا ما لزمهن من العين والقاف ما حَسِنَ على حال، ولكن العين والقاف، لاتدخلان على بناء إلا حستاه، لأنهما أطلق الحروف. أما العين فأنصب الحروف جرساً وألذاها سماعاً. وأما القاف فأصحها جرساً. فإذا كانتا أو إحداهما في بناء حسن لنصاعتهما. فإنَّ كان البناء اسمَا لزمه السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكرازتها؛ وارتفاعت عن خفوت الناء فحسنت. وصارت حال السين بين مخرجي الصاد والزاي كذلك. فمهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرَّى من الحروف

(٨) المث: شبه العصر للصور.

الذلق والشفوية فإنه لا يعرى من أحد حرفي الطلقة أو كليهما، ومن السين والدال أو إحداهما، ولا يضره مخالفته من سائر الحروف الصتم.

وإذا ورد عليك شيء من ذلك فانتظر ما هو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحر قعثج، دعثج، لا ينسب إلى العربية ولو جاء عن ثقة، أو قعسج لم ينكر ولم نسمع به، ولكننا ألفناه، ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل.

وأما ما كان من هذا الرباعي المنبسط من المعنى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو دهداق وزهزاق وأشباه ذلك، فإن الهاء لازمة له فصلاً بين حرفيه المشابهين مع لزوم العين والقاف أو إحداهما. وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب من الحكاية للينها وهشاشتها، إنما هي نفس لا اعتراض فيها.

وإن كانت الحكاية المؤلفة غير معروفة من الحروف الذلق فلن تضر أكانت فيها الهاء أم لا، نحو غطمة وأشباهه. ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف صدرها موافقاً لصدر ماضيه إليها في عجزها، كأنهم ضموا دهءاً إلى دق فالفوهما. ولو لا ما فيهما من تشابه الحرفين ما حست الحكاية بهما، لأن الحكايات الرباعيات لا تخلو من أن تكون مؤلفة أو مضاعفة. فأماماً المؤلفة فعلى ما وصفت لك، وهو نذر قليل. ولو كان العهيج جميعاً من الحكاية لجاز في تأليف بناء العرب وإن كان الخاء بعد العين، لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها لما يريدون من بيان المحتوى. ولكن لما جاء العهيج، فيما ذكر بعضهم، اسماعيلاً ولم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم ردّ فلم يقبل.

وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبههما، يتوهّمون في حسن الحركة ما يتوهّمون في حرس الصوت، يضاعفون لتستمر الحكاية على وجه التصريف.

والمضاعف من البناء في الحكايات وغيرها ما كان حرفًا عجزه مثل حرف صدره، وذلك بناء نستحسنه ونستلذه، فيجوز فيه من تأليف الحروف ماجاء من الصحيح والمعدل، ومن الذلق والطلق والصتم. وينسب إلى الشائي لأنّه يضاعفه. ألا ترى أنّ الحاكي يحكي صلصلة اللجام، فيقال صَلْ يخفَف، فإن شاء اكتفى بها مرَّة، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فقال صَلْ صَلْ صَلْ، فيتكلف من ذلك مابدا له. ويجوز في حكاية المضاعف ما لا يجوز في غيرها من تأليف الحروف. ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل ضكّ كان هذا تأليفاً لا يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولاً بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر من ذلك، نحو الضنك والضحك وأشباه ذلك. وهو جائز في تأليف المضاعف نحو الضكضاكة من النساء وأشباه ذلك. فالمضاعف جائز فيه كل غثٌ وسمين من المفصول والأعجاز وغير ذلك.

والعرب تستنق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثنائي المثقل بحرفي التضييف، ومن الثلاثي المعدل. ألا ترى أنهم يقولون صل اللجام صليلاً، فلو حكى ذلك قلت صل تمد اللام وتنقلها، وقد خففتها من الصلصلة، وهذا جميعاً صوت اللجام، فالتشليل مدّ والتضييف ترجيع، لأن الترجيع يخف فلا يمكن لأنّه على حرفين فلا ينقاد للتصرير حتى يضاعف أو يثقل، فيجيء كثير منه متفقاً على ما وصفت لك ويجيء كثير منه مختلفاً نحو قوله: صر [الجندب] صريراً^(٩)، وصر صر الأخطب صر صرة، كأنهم توهموا في صوت الجندب مدّاً، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً. ونحو ذلك كثير مختلف.

وأما ما يستنقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعدل فنحو قول العجاج:

ولو أنْخُنا جَمِيعَهُمْ تَنْخَنَحْرَا
لِفَحْلَنَا إِنْ سَرَّهُ التَّنْوُخُ

(٩) في المطبوعة: الجنوب وهو خطأ.

ولو شاء لقال في البيت الأول: ولو أخنا جمعهم تنَّحوا، ولكنه اشتق التتوخ من نَّوَّخناها فتنَّوَّخت، واشتق التتخنخ من قولك أخنا، لأنَّ أباً لما جاء مخففًا حسن إخراج الحرف المعتل منه وتضاعفُ الحرفين الباقيين، تقول نَّخناها فتنَّخنخ. ولما قال نَّوَّخنا قرَّت الواو فثبتت في التتوخ. فافهم.

باب أحياز الحروف

قال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً لها أحيازٌ ومدارج، وأربعة أحرف يقال لها: حوفٌ. الواو أحوف، ومثله الياء والألف اللينة والهمزة، سميت حوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج في مدرجة، وهي في الهواء فلم يكن لها حيزٌ تنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء.

قال: وأقصى الحروف كلها العين، وأرفع منها الحاء، ولو لا بُحة في الحاء لأشبهت العين، لقرب مخرج الحاء من مخرج العين. ثم الهاء، ولو لا هته في الهاء - وقال مرة: ههة في الهاء - لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء. فهذه الثلاثة في حيز واحد. ثم الحاء والغين في حيز واحد، ثم القاف والكاف في حيز واحد، ثم الجيم والشين والصاد ثلاثة في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي ثلاثة في حيز واحد، ثم الطاء والدال والباء ثلاثة في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء ثلاثة في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون ثلاثة في حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم ثلاثة في حيز واحد، ثم الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيزٌ تنسب إليه غيره.

قال الخليل: فالعين والباء والهاء والخاء والغين حلقيه. والقاف والكاف لهويان. والجيم والشين والصاد شجريه - والشجر مفرج الفم. والصاد والسين والزاي أسلية،

لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان. والطاء والدال والباء^(١٠) نطبعية، لأن مبدأها من نطبع الغار الأعلى. والظاء والذال والباء ثانية، لأن مبدأها من اللثة. والراء واللام والنون ذولقية، وهي الذلق، الواحد ذلق، وذولق اللسان كذولق السنان. والفاء والباء والميم شفوية، ومرة قال: شفهية. والواو والألف والباء هوائية. نسب كل حرف إلى مدرجته.

وكان الخليل يسمى الميم مطبقة لأنها تطبق إذا لفظ بها.

قال الخليل: واعلم أن الكلمة الثنائية المضاعفة تتصرف على وجهين، مثل دق، قد، شد، دش. والكلمة الثلاثية الصحيحة تتصرف على ستة أوجه تسمى مسدوسة، نحو: ضرب، ضير، ريض، رضب، برض، بضر. قال: والكلمة الرابعة تتصرف على أربعة وعشرين وجهًا، وذلك أن حروفها ضربت وهي أربعة أحرف في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة فصارات أربعة وعشرين، وهنّ نحو:

عقب، عريق، عقرب، قبعر، عرقب، عرقب، فهذه ستة أوجه أولها العين.

وكذلك: قعبر، قبعر، قعرب، قبرع، قربع، قريع. ستة أوجه أولها القاف.

بعقر، بعرق، بقعر، بقعر، برقع، برعق، ستة أوجه.

رقب، رقعب، رعقب، رعقب، ربعق، ربعق. فهذه أربعة وعشرون وجهًا أكثرها مهمل.

قال الخليل: والكلمة الخامسة تتصرف مائة وعشرين وجهًا، وذلك أن حروفها ضربت وهي خمسة أحرف في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجهًا فتصير مائة وعشرين وجهًا، يستعمل ألفها ويبلغى أكثرها. وهو نحو: سفرجل، سفرجل، سفحرل، سفحلر، سفلرج، سفلحر، سرجل، سرلفع، سرلحف، سرلفع، سلفرج، سلحفر،

(١٠) كررت المطبوعة الطاء وما أثبتناه هو الصواب.

سلحر، سلحرف، سحلفر، سحرفل، سرجلف، سرجفل، سحرفل، سحرلف، سلرف، سحرلف، سحرلف. فهذه أربعة وعشرون وجهاً الابتداء فيها بالسين. وكذلك للفاء إذا ابتدأ بها أربعة وعشرون وجهاً، وكذلك للراء واللام والجيم. كذلك مائة وعشرون وجهاً أكثرها مهملاً.

وتفسیر الثلاثي الصحيح أن تكون الكلمة مبنية من ثلاثة أحرف لا يكون فيها واو، ولا ياء، ولا ألف لينة، ولا همزة في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل. وكلما سلمت الكلمة على ثلاثة أحرف من الحروف السالمة فهي ثلاثة صحيحة. والثلاثي المعتل ما شابه حرفَ من حروف العلة.

قال: واللنيف الذي التف بحروف العلل مثل وَفِي، وغُوى، ونَأى.
فافهمه.

* * *

وروى غير ابن المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال: الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف منها صَرْفٌ وجرس. أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف. وأما الصرف فهو حركة الحرف.

قال: والحرروف الثمانية والعشرون على نحوين: معتل وصحيح. فالمعتل منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو. قال: وصورهن على ماترى: اويء. قال: واعتلالها تغييرها من حال إلى حال ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض.

قال: وسائر الحروف صحاح لا تغير عن حالها أبداً غير الهاء المؤنثة، فلأنها تصير في الاتصال تاءً، كقولك هذه شجره فتظهر الهاء، ثم تقول هذه شجرتك شجرة طيبة فتذهب الهاء وتختلف التاء لأن التاء مؤنثة. وإنما فعلوا ذلك بهاء التأنيث ليفرقوا بينها وبين الأصلية في بناء الكلمة.

قال: والحروف الصحاح على نحوين: منها مُذَلَّق ومنها مُضْمَنَت. فأما المذلقة فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما حيز الفاء فيه ثلاثة أحرف كما ترى: ف ب، م، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتيين لا عمل للسان في شيء منها. والحizin الآخر حيز اللام فيه ثلاثة أحرف كما ترى: ل ر ن، مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان ومقدم الغار الأعلى. فهاتان المدرجتان هما موضع الذلقة، وحروفهما أخف الحروف في النطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء.

ولا يحسن بناء الرباعي البسيط والخمساوي التام إلا بمخالطة بعضها نحو: جعفر، ودردق، وسفرجل، ودرديس. وقد جاءت كلمات مسيئة شواذ، نحو: عسجد، وعسطوس.

وقال: أما المصمتة وهي الصتم أيضاً - فإنها تسعه عشر حرفأً صحيحاً. منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق، وهي ع ح ه خ غ. ومنها أربعة عشر حرفأً مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه، منها خمس شواخص، وهن ط ض ص ظ ق وتسمي المستعملية، ومنها تسعه مختفضة، وهن : ك ج ش ز س د ت ذ ث. قال: وإنما سين مصمتة لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها. وإذا عرِيت من حروف الذلقة قلت في البناء، فلست واحداً في جميع كلام العرب حماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولا كلاماً رباعياً كذلك غير المسينة التي ذكرتها. واستخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشةها. ولذلك استخفت السين في استفعل.

قال: والعريض في الحروف المعتلة، وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو. فأما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياء. فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدةً بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضغفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو، كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالباء. فالهمزة التي في العصائب

هي الألف التي في العصابة، والواو في الكواهل هي الألف التي في الكاهم جاءت خلفاً منها، والياء التي في السعيليات خلف من الألف التي في السعلاة، ونحو ذلك كثير. فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة، والهمزة أقوىها متناً، وخرجها من أقصى الحلق من عند العين.

قال: والياء والواو والألف اللينة منوطات بها، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة. ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن، كقولك للمرأة افعلى وتسكت، وللأثنين افعلاً وتسكت، وللقوم افعلو وتسكت، فإنما يهمن في تلك اللغة لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة. فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة. وهؤلاء في مجرئ واحد.

والواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى. ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن، كقولك عبد الله ذو العمامة، لأنك قلت ذل. وتقول رأيت ذ العمامة، لأنك قلت ذل. وتقول مررت بذى العمامة، لأنك قلت ذل. ونحو ذلك كذلك في الكلام أجمع.

والياء والواو بعد الفتحة إذا سكتا ولقيهما ساكن بعدهما يتحرّكان ولا يسقطان أبداً، كقولك لو انطلقت يا فلان، وقولك للمرأة: اخشي الله، وللقوم: اخشوا الله. وإذا وقفت قلت: اخشوا واحشى.

فإذا التقى الياء والواو في موضع واحد وكانت الأولى منهما ساكنة فإن الواو تدغم في الياء إن كانت قبلها أو بعدها في الكلام كله، نحو: الطيّ من طويت، الواو قبل الياء؛ ونحو الحي من الحيوان، والياء قبل الواو.

قال: والحروف المعتلة تختلف حالتها فتجري على بخارٍ شتى. من ذلك ألف اللينة إذا مُدَّت صارت مدتها همزة ملتقة بها من خلفها كقولك هذه لاءً مكتوبة، وهذه ماءٌ ماء الصلة لاماء المجازة^(١١). ونحو ذلك من الحروف المصورة إذا وقعت موقع الأسماء مددت كما تمد حروف الهجاء إذا نسبت أو وصفت؛ لأنهن يصرن أسماءً؛ لأن الاسم مبني على ثلاثة أحرف، وهذه الحروف مثنى مثنى، مثل لو، ومن، وعن، فإذا صيّرت واحداً منها اسمًا قويته بحرفٍ ثالث مخرج من حرف ثان ك قوله:

إنَّ لِي تَا وَإِنْ لَوَّا عَنَاءُ

جعل لَوْا اسماً حين نعته.

* * *

وروى الليث بن المظفر عن الخليل بن أحمد في أول كتابه: هذا ما ألفه الخليل ابن أحمد من حرف: ا ب ت ث، التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها، ولا يخرج شيء منها عنها؛ أراد أن يعرف بذلك جميع ماتكلمت به العرب في أشعارها وأمثالها وألا يشدّ عنها شيء^(١٢).

(١١) يعني ما الشرطية.

(١٢) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار الدار القومية العربية للطباعة بالقاهرة

(١٣٨٤ - ١٩٦٤) (الجزء الأول ص ٤١ - ٥٢)

نصوص من مقدمة كتاب العين أثبتما

أبو حيyan الأندلسبي (ت ٥٧٤٥) في كتاب "تذكرة النهاة".

أبوأسامة جنادة بن محمد اللغري^(١٣) له كتاب سماه بالزهکال في حصر الحروف والمصادر والأفعال، ذكر فيه بإسناد من طريق الليث بن المظفر بن نصر بن سيار^(١٤) عن الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: الحروف العربية ثمانية وعشرون أصلًا، يتفرع عنها سبعة فصلًا.

فمن هذه الأصول خمسة وعشرون حرفاً [صحاحاً] يجمعها لقبان: المصمتة، والمذلقة.

فإما المصمتة فتسعة عشر حرفاً: خمسة حلقيات على مدرجة للصوت واحدة من أقصى الحلق إلى أدنى وهي: الهاء، والخاء، والعين، والخاء.

(١٣) جنادة بن محمد المروي الأزدي، أبوأسامة، عالم باللغة، من أهل هرّة قنة الحاكم صاحب مصر (ت. ٥٣٩٩).

(١٤) هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار المخراصاني، بصرى بالشعر والغرب والنحو، كتب للبرامكة، وقيل هو مصنف كتاب العين.

وأربعة عشر حرفاً مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه. منها خمسة شواخص، وهن: الظاء، والضاد، والصاد، والطاء، والقاف. وتسعة منخفضة، وهن: الكاف، والجيم، والسين، والزاي، والشين، والدال، والتاء، والذال، والثاء.

وإنما سميت مصمتة لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها، وهي أشد الحروف عويضاً، وإذا عُرِيت من حروف الذلاقة قلت في البناء، فلست واحداً في جميع كلام العرب كلمة خماسية بناؤها من الحروف المصمتة خاصة، ولا رباعية كذلك، غير ضرب واحد يقال له الرباعي المعدى، وهو قليل، وما جاء فالسين لازمة له نحو: عسجد، وعسطوس، وإنما استخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها، ولذلك استخفت في: سيفعل واستفعل.

وأما الحروف المذلقة فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما حيز الفاء، فيه ثلاثة أحرف: الفاء، والباء، والميم، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين لا عمل للسان في شيء منها. والحيز الآخر حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف: الراء، واللام، والنون، مخارجها من مدرجة واحدة من أسلة اللسان وبين مقدم الغار الأعلى، فهاتان المدرجتان هما موضع الذلاقة، وحروفها أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء. ولا يحسن بناء الرباعي المنبسط ولا الخماسي التام إلا بمحالطة بعضها، نحو: جعفر ودردق وسفرجل ودردبيس وأشباه ذلك، إلا أن كلمة قد جاءت [مسينة] نحو عسجد.

وذكر أيضاً من طريق النضر بن شميل المازني^(١٥) قال: سمعت الخليل يقول: أقصى الحروف كلها العين، وأرفع منه الحاء، ولو لا بحثة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرج

(١٥) هو النضر بن شميل بن خرشة بن كلثوم بن عترة بن زهير، أبو الحسن، بصري. أخذ عن الخليل، وأقام بالبادية أربعين سنة. مات سنة ٢٠٣ هـ.

العين من الحاء. ثم الهاه ولو لا [ههة] في الهاه لأن شبّهت الحاء لقرب مخرج الحاء من الهاه، فهذه الثالثة في حيز يُبدل بعضها من بعض، تقول: ربع. يعني ربع، وضبع. يعني ضبع، ومدهه. يعني مدحه. ثم الهمزة، والعين، والخاء، هذه الثالثة في حيز واحد يتوب بعضها من بعض في الكلمة، يُقال زأته في معنى زغته، وترأه. يعني ترمعه، وتغيم تبدل الهمزة من العين والعين من الهمزة فتقول: عني. يعني أني، وخجا. يعني خبع، وعدر. يعني أدر.

قال الخليل: وتسمى هذه الحروف حلقة، لأن مبدأها من الحلقة، ثم التي تليها القاف، والكاف، وهو ما هو يليان لأن مبدأها من اللهاة، إلا أن مخرج القاف من فوق حنكها، وبجرى الكاف من أسفله، ولانفراد كل واحد منها قل ماتيقع البديل فيها. ثم الشين، والجيم، والياء، شجرية، لأن مبدأها من الشَّجَر، وبجراها على وسط اللسان ووسط الحنك، ولكل واحد منها بدلان، بدل مقاربة، وبدل مناسبة.

أما المقاربة فالشين والجيم من الياء، مثل: غلامج، وغلامش، يعني غلامي، وكلمات أخرى غير فصيحات مما يدلان منها كما تبدل منها. وأما بدل المناسبة فكالبدل عمّا يدل في حروف الروايد، مثل: الراء لأنها تبدل لاما، والواو لأنها تقلب ياء. أما الراء المبدلة من الياء والواو، فهو هذرت. يعني هذيت وهذوت، وقشرت. يعني قشوت، وعفريّة من عفوت أو عفيت. يعني أكثرت، وإنما سمى شعر الناصية والقفاعغرية لكثرتها ولبنهما، ومنه قيل لزف النعام ووبر البعير عفاء. ثم الصاد، وهي حافية لأنها من حافة اللسان وما يليها من الأضراس. ثم الصاد، والسين، والزاي، أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرفه. ولقرب الجوار ومشاكلة المدار بين الصاد والصاد تنوّب إحداهما مناب الأخرى في الكلمة اللغوي مثل: التوص والتوص، والقبض والقبض. على أن لكل حرف من حروف الأسلية بدلتين: بدل بمحارة وبدل مواتاة.

فأما بدل المغاراة كالتاء من السين يقال: النات بمعنى الناس في بعض اللغات، وببدل المواتاة مع حروف معدودة وهي: الجيم، والخاء، والطاء، والغين، والقاف، ثم الطاء^(١٦) والدال، والتاء نطبع لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى ومجراها على طرف اللسان وأصول الثناء وقد تقوم في الكلمة بعضها مقام بعض يقول: مطة^(١٧) ومدة ممتنعة. ثم الطاء، والدال، والتاء لثوية لأن مبدأها من اللثة ومجراها بين طرف اللسان وأطراف الثناء العلا، إلا أن البديل يقع في الطاء من الدال تقول: وظح بمعنى وذح. ثم الفاء وهي فموي لأن مخرجها من الفم بين الثناء العلا والشفة السفلية ولانحيازها إلى حيز الثاء بالمحاورة يبدل منها فيقال فوم بمعنى ثوم وجذف بمعنى جَدَث. ثم الراء، واللام، والنون ذلك، والواحد أذلق، لأن مبدأها من ذلك اللسان وهو كذلك السنان، وذلق كل شيء تحديد طرفة. وهذه الحروف يجمعها الذلق ويفرقها المنطلق، لأن مجرى اللام من حافات اللسان إلى منتهى طرفة، ومجرى النون بين فويق الثناء من طرف اللسان، وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام لمزيد دموجها في ظهر اللسان عند الكلام، ولقرب مخارجها يبدل بعضها بعض. ثم الباء، والميم، والواو شفهية. وفي بعض روایات الليث عن الخليل: أن الضاد شجرية، والشجَر مفرج الفم، والفاء من حروف الشفة، والباء، والواو، والهمزة هوائية لأنها لا تتعلق بشيء من الأحياز.

وذكر أيضاً من طريق الأخفش سعيد بن مسعدة^(١٨) يقول: سألت الخليل بن أحمد عن حروف المعجم، وعن أحيازها ومحاريها إلى الفم، فقال:

(١٦) أوردت المطبوعة الطاء وهو خطأ.

(١٧) في الأصل ملة، وهو خطأ.

(١٨) هو الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، أحد النحو عن سيريه، له في اللغة كتب مستحسنة. من الآئمة البصريين. توفي سنة ٢١٥ هـ.

أما الحروف العربية فثمانية وعشرون أصلاً، ولها ستة عشر حيزة، فمنها ما اتفق مبدؤها واختلف بغيرها، مثل: الجيم مع الباء، والواو مع الباء، والألف مع الهاء، ولبدوّ الباء والواو والألف من الجحوف سميت حوفاً، وللينها وامتداد الصوت فيها سميت حروف المد واللين، مع اختلاف بخاريها وتبان مباديهما على أن لكل حيز منها متدرجاً على مقدار بخاريه، ومتبدلاً من مدانيه ومواته.

فمن ذلك بدل الهمزة والهاء والخاء من العين في قوله: سداً وسده وسدح. يعني سدع. ثم العين والخاء ولها من الخلق المدرجة التالية لقربهما من منفذهما وفيهما بدلان، أحدهما للمجاورة بين الغين والخاء، أو المجاورة التي بينهما وبين الهمزة في [...]^(١٩)، وصراً. يعني صرخ، وهو الصراء. يعني الصراخ. ويظهرون تنوين المنون مع هذه الستة على مبلغ ظهورها من مخارجها في مدارجها حتى ربما يخفونه عند الخاء والغين لقربهما من منفذهما، ثم القاف من فوق اللسان مبدؤه، وعلى فوق الحنك بجراء، ثم تكون الكاف من أسفله حتى يدنو من محله، ثم الشين وله من وسط اللسان شداه ومن بين الحنك متسداه، وقد ينوب مناب الكاف لما بينهما من الشرائط في بعض لغات الأطراف، ثم الجيم والباء، وهما من مبدئه ويعارضانه في بجراء، وينوب أحدهما مناب الآخر في مواضعهما، ثم يعارضها لفظ [الصاد] معارضة [الصاد] من حافة المناس ومايليه من الأضارس، وهما مع اختلافهما في الجريان بدلان مختلفان، لأن بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن، وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر، وأحد بدلاته للمشاكلة مثل المرض يعني الهرص، والآخر بدل المنائلة مثل الطague. يعني اضططاع. وأنشد بعضهم:

مال إلى أرطاة حقير فالطague^(٢٠)

(١٩) مطموس في الأصل.

(٢٠) تمامه لما رأى أن لادعة ولاشبع... .

ثم من حروف اللسان إلى منتهاء مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في حيز التمام لأن مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المشى معارضاً لأصول الثناء والرباعيات مشاركاً لبعضها في الانحراف، ثم النون المتحركة لها بدل الكفاف لحقُّ القرب والتحرك والانحراف، ومعنى الكفاف: أنه لا يدغم في النون المتحركة غير اللام، فكأنه لافضل فيه لغيره وهي مشربة غنة، وخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثناء، وأقرب الحروف منها اللام، كما أن أقرب الحروف من الباء الجيم. ثم الراء بينهما وهو أدمج من النون في العكك لأنحرافه إلى اللام كالمستعك، ثم الصاد والسين والزاي لها من وسط اللسان شباته، ومن فوق الثناء سراته. ثم الطاء والدال والباء من طرف اللسان وأطراف الثناء، ثم الطاء والدال والباء مما بين طرف اللسان وأطراف الثناء. ثم الفاء من باطن الشفة السفلية وأطراف الثناء العلا. ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين. ثم النون المخفية من الخياشيم». انتهى مانقل من كتاب جنادة^(٢١).

* * *

(٢١) نذكرة النحاة لأبي حيان، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦ ص ٢٥ - ٣١.

بعض ما اقتبس من المقدمة

أ- اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى ابن دريد (ت ٣٢١هـ) في كتابه **”جمهرة اللغة“**:

وقد أَلْفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَلِيلِ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَهِودِيِّ، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كِتَابُ
الْعَيْنِ، فَأَتَى بِهِ مِنْ تَصْدِيَّ لِغَايَتِهِ، وَعَنْهُ مِنْ سَمَا إِلَى نَهَايَتِهِ، فَالْمَلْصُفُ لَهُ بِالْغَلْبِ مَعْتَرِفٌ،
وَالْمَعَانِدُ مُتَكَلِّفٌ، وَكُلُّ مَنْ بَعْدِهِ لَهُ تَبَعُّ أَقْرَأَ بِذَلِكَ أَمْ جَحْدٍ. وَلَكِنَّهُ رَحْمَهُ اللَّهُ أَلْفَ كِتَابَهُ
مُشَاكِلاً لِثُقُوبِ فَهْمِهِ وَذِكَاءِ فَطْنَتِهِ وَحَدَّةِ أَذْهَانِ أَهْلِ دَهْرِهِ.

* * *

قال الخليل: لولا بُحَّةٌ في الحاء لأشبهت العين فلذلك لم تأتليها في كلمة واحدة وكذلك الماء ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو قولهم: حَيَّ هل، وكقول الآخر: هِيَهَأْهُ، وحَيَّهَلُهُ، فحييَّ كلمة معناها هلن وهلا حيثما، وكذلك في الحديث: «فحييَّ هَلْمَّ بعمر». وقال الخليل: سمعنا كلمة شنعوا: المخجع، فأنكرنا تأليفها؛ وسئل أعرابي عن ناقته فقال: تركها ترعى المخجع، فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا ذلك وقالوا: نعرف المخجع، فهذا أقرب إلى التأليف^(٢٢).

* * *

(٢٢) جمارة اللغة لابن دريد بتحقيق رمزي بعلبكي، ٤٠ / ١، ٤٧ / ١.

ب - اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) في كتابه "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة":

قال أبو محمد: فهذه أربعة وثلاثون لقباً (للحرروف) قد بیناها وشرحناها، وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنی وفائدة في الحرف ليسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب. وبقیت عشرة ألقاب تأم (أربعة وأربعين) لقباً، لقبها بذلك الخلیل بن أحمد في أول كتاب العین، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء المواقع التي تخرج منها الحروف.

الأول من العشرة، الحروف الحلقية، وهي ستة: العین والخاء، والهاء والخاء، والغین والهمزة. فهذه الحروف تخرج من الحلق نَسَبُهُنَّ إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو الحلق، فقال فيهن: حلقية، ولم يذكر الخلیل معهن الألف، لأنها تخرج من هواء الفم وتصل إلى آخر الحلق، فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها مع حروف الحلق.

الثاني: الحروف اللھوریة، وهما حرفان: "الكاف" و "الکاف"، سماھما الخلیل بذلك، لأنھ نسبهما إلى الموضع الذي يخرجان منه وهو اللھاء، واللھاء: ما بين الفم والحلق.

الثالث: الحروف الشجیریة، وهي ثلاثة أحرف: "الشین"، و "الضاد" و "الجیم"، سماھن الخلیل بذلك، لأنھ نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم، قال الخلیل: الشجر مفرج الفم أي مُفتحه، وقال غيره: الشجر: مجتمع اللھین عند العنفة.

الرابع: الحروف الأسلیة، وهي ثلاثة: "الصاد" و "السین" و "الزای"، سماھن الخلیل بذلك، لأنھ نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كُنَّ يخرجن من طرف اللسان، وطرف اللسان: أَسْلَتُهُ، نسبهن إلى ذلك.

الخامس: الحروف النّطعية، وهي ثلاثة: "الظاء" و "الدال"، و "الناء"، سماهن الخليل بذلك، لأنّه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كن يخرجن من نطع الغار الأعلى، وهو سقفه، نسبهن إليه.

السادس: الحروف اللثوية، وهي ثلاثة : "الظاء"، و "الشاء"، و "الذال"، سماهن الخليل بذلك، لأنّه نسبهن إلى اللثة، لأنّهن يخرجن منها، واللثة: اللحم المركب فيه الأسنان.

السابع: الحروف الذلقيّة، ويقال [الذلقة]^(٢٣) والذلقيّة وهن ثلات: "الراء" و "اللام" و "النون"، سماهن الخليل بذلك، لأنّه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وخرجن من طرف اللسان، وطرف كل شيء: ذلقه.

قال أبو محمد: وجدت في بعض نسخ كتاب العين للخليل رحمه الله: حروف الذلق: (ر، ل، ن، ف، ب، م)، ستة. جمعتها أنا في هجاء غر فبل، (ويمجمعها أيضاً قولك: مل فنبر)، وإن شئت قلت: فر من لب، وفي هذه الحروف حكمه، وذلك أنه لا توجد كلمة خماسية من كلام العرب إلا وفيها من هذه الحروف، فإذا أتيت كلمة (خمسية) ليس فيها شيء من هذه الحروف فليست من كلام العرب فهذا (أصل فافهم).

الثامن: الحروف الشفهية، ويقال: الشفوّية، وهي ثلاثة: "الفاء"، و "الباء"، و "الميم"، سماهن الخليل بذلك، لأنّه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وخرجن من بين الشفتين، فنسبهن إلى الشفة.

التاسع: الحروف الجوفية، ويقال: الحروف الجُوفُ - جمع أحوف - وهن ثلات: "الألف"، و "الواو"، و "الياء"، وهي حروف المد واللين المتقدمة الذكر، سماهن الخليل

(٢٣) كررت المطبوعة "الذلقة"، وما أتبته هو الأقرب إلى الصواب فيما يلي.

بذلك، لأن نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجها وهو الجوف، وزاد غيره معهن المهمزة، لأن مخرجها من (أقصى الحلق) وهو يتصل بالجوف.

العاشر: الحروف الهوائية، وهنَّ الجُوف، وقد تقدم ذكرهن وشرحهن، فذلك أربعة وأربعون لقباً بتكرير لقب واحد، فاعرف هذه الصفات والألقاب، واختلاف معانيها وأحكامها (وطباعها) فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها (وأحكامها) وطبعها التي خلقها الله - جل ذكره - عليها، مافهم الكلام، ولا علم معنى الخطاب، ول كانت الأصوات ممتندة لاتفهم من مخرج واحد، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم”^(٤).

* * *

ج - اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى الاسترابادي (ت ٦٨٨هـ) في شرحه لشافية ابن الحاجب:

وكان الخليل يقول: الألف اللينة والواو والياء والمهمزة هروائية: أي أنها من هواء الفم لا تقع على مذرجة من مدارج الحلق ولا مدارج اللسان، قال: أقصى الحروف كلها في الحلق العين، وأرفع منها الحاء، وبعدها الهاء، ثم بعدهما إلى الفم الغين والخاء، وأرفع من الغين.

* * *

وقال الخليل: العين والباء والباء والغين والخاء حلقة؛ لأن مبدأها من الحلق، والكاف والكاف هوئتان؛ إذ هما من اللهاء، والجيم والشين والضاد شحريّة، لأن مبدأها من شحّر الفم: أي مفرجه، والصاد والزاي والسين أسلية، وأصلة اللسان: مستدق طرفه، والطاء والدال والناء نطعية: لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، والظاء

والذال والثاء لثوية، والراء واللام والنون ذلقية، وذلّق كل شيء: تحديد طرفه، والفاء والباء والميم شفوية، أو شفهية، والواو والياء والألف والهمزة هوائية؛ إذ هي من الهواء لا يتعلّق بها شيء^(٢٥).

* * *

د- اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسان العرب:

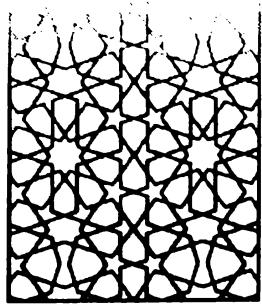
وقال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعه وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صالح، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف حروف: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تخرج في مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة، ولا مدارج اللسان، وهي في الهواء، فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف.

وكان يقول: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء. وأقصى الحروف كلها العين، وأرفع منها الحاء، ولو لا بحث في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منها، ثم الهاء، ولو لا هته في الهاء، وقال مرأة أخرى ههة في الهاء لأشبهت الهاء لقرب مخرجها منها، فهذه الثلاثة في حيز واحد، وهذه الحروف ألقاب أخرى؛ الحلقية: العين والهاء والهاء والخاء والغين؛ اللهوية: القاف والكاف؛ الشجرية: الجيم والشين والضاد؛ والشجر مفرج الفم؛ الأسلية: الصاد والسين والزاي، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرفه؛ النطعية: الطاء والذال والثاء، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى؛ اللثوية: الطاء والذال والثاء، لأن مبدأها من اللثة؛ الذلقية: الراء واللام والنون؛ الشفوية: الفاء والباء والميم، وقال مرأة شفهية؛ هوائية: الواو والألف والياء. وستذكر في صدر كل حرف أيضاً شيئاً مما يخصه.

وأما ترتيب كتاب العين وغيرها، فقد قال الليث بن المظفر: لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء في كتاب العين أعمل فكره فيه، فلم يمكّنه أن يتبدئ في أول حروف المعجم، لأنَّ الألف حرف معتلٌ، فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثاني أوَّلاً، وهو الباء، إلا بمحنة وبعد استقصاء، فدبَّر ونظر إلى الحروف كلها وذاتها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلقة، فصيَّر أوَّلها، في الابتداء، أدخلها في الحلقة. وكان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف ثم يقول: اب ات اث اج اع، فوجد العين أقصاها في الحلقة، وأدخلها، فجعل أوَّل الكتاب العين؛ ثم ما قرب مخرجها منها بعد العين الأربع فالأربع، حتى أتى على آخر الحروف، فقلَّب الحروف عن مواضعها، ووضعها على قدر مخرجها من الحلقة.

وهذا تأليفه وترتيبه: العين والحناء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والراء واللام والتون والفاء والباء والميم والياء والواو والألف^(٢٦).





فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

آل ياسين، الشيخ محمد حسن، ”مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها“، مجلة البلاغ، السنة السادسة، العددان التاسع والعشر لعام ١٩٧٧.

ابن البناء، ”كتاب العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإياضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء“، تحقيق غانم قدوري حمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد (٢١) الجزء الأول لعام ١٩٨٧.

ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر، تصحیح علی محمد الضباع، المکتبة التجاریة الكیری، مصر، د.ت.

ابن جنی، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ١٩٨٥.
الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار المدى، بيروت، ط. ثانية، د.ت.
ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير علبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. أولى ١٩٨٧.

ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ومحبی میرعلم،
جمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣.

- ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٩٧٠.
- ابن عمر، محمد صالح، "دراسة إحصائية بالحاسب الالكتروني للجذور الواردة في الصحاح واللسان والتاج"، مجلة المعجمية، تونس، العدد الأول لعام ١٩٨٥.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- أبو حيّان الأندلسي، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٨٦.
- الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد محمد على النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأباء والنشر ١٩٦٤.
- الأستراباذى، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادى تحقيق محمد نور الحسن و محمد الرفراخ و محمد عبى الدين عبد الحميد، مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦هـ.
- الأنصارى، زكريا، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزيرية، تحقيق نسيب نشاوى، دار المكتبة، دمشق، ط. أولى ١٩٩٥.
- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. رابعة ١٩٧١.
- أولمان، مانفريد، "معجم اللغة العربية الفصحى" ضمن كتاب ألمانيا والعالم العربي، ترجمة مصطفى ماهر، دار صادر، بيروت ١٩٧٤.
- بشر، كمال محمد، علم اللغة العام "الأصوات"، دار المعارف مصر ١٩٨٠.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، أشرف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازى، القسم الأول، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

- ثابت بن أبي ثابت، كتاب خلق الإنسان، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، ط. ثانية ١٩٨٥.
- الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، حقّق أصول كلماته ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق ١٩٩٠.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها وبناؤها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ثانية ١٩٧٩.
- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء ١٩٧٩.
- الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ١٩٨٦.
- هودي، هادي حسن، الخليل وكتاب العين، لندن ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٤٢هـ.
- خورشيد، إبراهيم زكي، وأحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ط. ثانية ١٩٦٩.
- درويش، عبدالله، المعاجم العربية مع اعتماد خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد، مكتبة الأجلو المصرية ١٩٥٦.
- الرمانى، رسالة النكّت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط. ثالثة ١٩٧٦.
- الزبيدي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ)، طبقات التحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط. ثانية ١٩٨٤.
- سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، المجلد الثامن، الجزء الأول "علم اللغة"، ترجمة عرفة مصطفى، مراجعة مازن عماوي، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٩٨٨.

- سيبوية، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب بيروت، د.ت.
- السيوطى، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البحارى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، البانى الحلى، القاهرة، د.ت.
- همع الهوامع شرح جمع الجواجم، تصحيح محمد بدر الدين النعسانى، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- ضيف، شوقي، المدارس التحوية، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.
- عبد العواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض، ط. ثانية ١٩٨٣.
- العش، يوسف، "أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المرويّ عن الخليل بن أحمد"، مجلة المجتمع العلمي العربي، المجلد (١٦) لعام ١٩٤١.
- الفراهيدى، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومى، وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، قم، ط. أولى ٤٠٥ هـ.
- فليش، هنري، "التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب"، مجلة بجمع اللغة العربية، القاهرة، المجلد (٢٣) لعام ١٩٦٨.
- فدریس، جوزيف، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠.
- الفیروز آبادی، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٣.
- قدور، أحمد محمد، "مشكلات المصطلح اللساني، وصف ونقد واقتراح"، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد (٢٦) لعام ١٩٩٤.
- مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦.

المخزومي، مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي،
بيروت، ط. ثانية ١٩٨٦

مراياتي، محمد و محمد حسان الطيان و يحيى مير علم، علم التعمية واستخراج المعنى
عند العرب، بجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت.

مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة
والنشر، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد
حسن فرات، توزيع دار الكتب العربية، دمشق ١٩٧٣.

موسى، علي حلمي، إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر،
جامعة الكويت ١٩٧٢.

- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، جامعة الكويت
١٩٧٣.

موسى، علي حلمي و عبد الصبور شاهين، دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس
باستخدام الكمبيوتر، جامعة الكويت، د.ت.

مونان، جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين
القاسم، وزارة التعليم العالي، ط. جامعة حلب ١٩٨١.

النديم (ابن النديم)، كتاب الفهرست، تحقيق رضا تحدّد، طهران ١٩٧١.

نصار، حسين، المعجم العربي، نشأته وتطوره، مكتبة مصر، القاهرة، ط. ثانية ١٩٦٨.



0120120001848

دار الفكر

آفاق معرفة متقدمة



• أُسست عام ١٩٥٧م.

• رسالتها:

- تزويج المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
- كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار.
- تغذية شعلة الفكر بوقف التجديد المستمر.
- مد الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي.
- احترام حقوق الملكية الفكرية، والدعوة إلى احترامها.

• منهاجها:

- تتلخص من التراث جذوراً تؤسس عليها، وتبني فوقها دون أن تتف عندها، وتطوف حولها.
- تختار منشوراتها بمعايير الإبداع، والعلم، والحلجة، والمستقبل، وتبتعد التقليد والتكرار وما فلت أو أنه.
- تعتني بثقافة الكبار، كما تعتني بثقافة أطفالهم.
- تخضع جميع أعمالها لتفقيح علمي وتربيوي ولغوي وفق دليل ومنهج خاص بها.
- تعد خططها وبرامجها للنشر، وتعلن عنها: شهرية، وفصلياً، وسنوية، والأمد أطول.
- تستعين بنخبة من المفكرين إضافة إلى لجهزتها الخاصة للتحرير، والباحث، والترجمة.

• خدماتها ونشاطاتها:

- بنك القارئ النهيم (الأول من نوعه في الوطن العربي)
- جائزة دار الفكر للإبداع والنقد الأدبي
- رياضة في مجال النشر الإلكتروني
- أول موقع متعدد بالعربية لناشر عربي على الإنترنت:
www.Fikr.Com
- إسهام فعال في موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الإلكترونية:
www.Furat.Com
- خدمة المستكفي بإشرافها على موقع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:
www.bouti.Com
- إشراف مباشر على موقع الدكتور وهبة الزحيلي:
www.Zuhayli.Com

• منشوراتها: تجاوزت حتى عام ٢٠٠١ (١٥٠٠) عنواناً، تغطي سائر فروع المعرفة.

ORIGINALITY OF PHONOLOGY For Al-Khalil Through the Introduction of the Book of the Eye

Aṣālat ‘Ilm al-Āṣwāṭ

‘Inda al-Khalil min Khilāl Muqaddimat
Kitāb al-‘Ayn

Dr. Ahmad Muhammad Qaddūr



موقع عربى رائد لتنمية الكتب والبرامج الالكترونية
www.furat.com

كتاب في العلوم المعاصرة من المطبوعات المعاصرة
كتاب في العلوم المعاصرة من المطبوعات المعاصرة

نشأ (علم الأصوات) عند العرب في القرن الثاني للهجرة ضمن الجو الحضاري الناھض عصرئذ، وكانت غاية هذا العلم عملية منذ البداية، إذ جعلت مبادئه ومعطياته أساساً لعلوم العربية من نحو وصرف ومعجم وغير ذلك من معارف أدبية ونقدية وبلاعية.

وزاد تقدُّم الزَّمن من توظيف معطيات علم الأصوات في علوم العربية من جهة، وفي القراءات القرآنية من جهة أخرى حتى ظهر (علم التجويد).

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الأصوات عند العرب، كما كان رائد علوم العربية كافة بلا منازع، لذلك قضى الدكتور المؤلف سنوات مشتغلًا بهذا الموضوع، ثم قدم كتاب العين منطلقاً من النص نفسه دون إهمال ما يمكن الاستعانة به من مصادر ومراجع متخصصة، وضم القسم الثاني دليلاً على ما قدم في القسم الأول، وباباً يلْجِع منه من شاء من الدارسين لمتابعة العمل أو تقويمه ونقدِّه، فالمجال مأيَّزٌ مفتوحًا أمام المختصين ليدلوا بدلواهم بين الدلاء.

ISBN 1-59239-245-8



9 781592 392452